

الحياة الاجتماعية للطبقة الدنيا في مصر وعلاقتها بطبقة الحكام الإغريق في خلال القرن الثالث قبل الميلاد

تحدثنا فيما سبق عن الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في مصر من الوجهة الإغريقية أو بعبارة أخرى من وجهة الطبقة الحاكمة التي كان بيدها كل شيء ولم تتعمق قط في كيفية معاملاتهم واختلاطهم بصورة واضحة مع أفراد الشعب المصري الذين ينتمون إلى الطبقة الدنيا وهي الطبقة الكادحة التي كانت تقوم بأعباء الأعمال الهامة كلها التي كانت العتاد الأساسي لحياة الإغريق أنفسهم والتي بها كانوا ينفذون سياستهم الداخلية والخارجية، والواقع أنه مما يؤسف له أن نرى المؤرخين الذين خصصوا أنفسهم في تاريخ عصر البطلمة بل وفي تاريخ العالم الهيلنستيكي قد تعمقوا بوجه خاص في المسائل المنوعة التي تتصل بحياة السكان الإغريق أو الذين صبغوا بالروح الهيلنستيكية في حين نرى أن اهتمامهم بالمجتمع المصري وبخاصة الطبقة الدنيا التي لم تُصَبغ بالثقافة الإغريقية لم يكن إلا لمامًا وبخطأً وثيدةٍ عرجاءٍ لم تبلغ في سيرها نحو هدفها شوطاً يُذكر. والأسباب التي ساعدت على وجود هذه الحالة هي الصورة التي وجدنا عليها المصادر التي في متناول الباحثين في هذا الموضوع، وليس من شك في أن المصادر الإغريقية الهائلة العدد التي كُشف عنها قد فرضت على المؤرخين والباحثين هذا الموقف أو هم فرضوه على أنفسهم، فقد أخذوا بالآداب والثقافة الإغريقية الاتباعية وبطرق الاقتصاد البطلمي الغريب حتى أعماهم كل ذلك عن رؤية العالم القديم إلا بأعين الإغريق والرومان الذين من طبقات رفيعة بوجه خاص، ولا غرابة في ذلك فإن الباحثين الأحداث يجدون بين أفراد هذه الطبقة الكُتاب العظام الذين أخذوا من كتاباتهم ما دونوه لنا من معلومات عن مصر

في هذا العصر، حقاً يُلاحظ أن العلماء قد بدعوا حديثاً يُظهرون اهتمامهم بالبحث عن حياة الشعب المصري نفسه، غير أن هذا الاهتمام لم يراعَ إلا عَرَضاً خلال القيام بدراسات عامة أكثر منها خاصة تنحصر في العلاقات المتبادلة بين المصريين أهل البلاد الأصليين وبين الإغريق الأجانب، وعلى أية حال لم تَوَلَّف كتب خاصة في هذا الموضوع حتى الآن إلا مقالاً واحداً كتبه عالمة بولندية،^١ حديثاً قد ينير الطريق لبحوث أخرى في هذا الصدد.

ولا نزاع في أن تاريخ مصر ومصادره في العهد الهيلانستيكي كان معروفاً أكثر من تاريخ كل الممالك المعاصرة المعروفة لدينا، ويرجع الفضل في ذلك إلى تربة أرض الكنانة وما حفظته لنا بمناخها المدهش من أوراق بردية وآثار منقطة القرين، ولذلك قد أصبح لزاماً علينا أن نسير إلى ذلك قبل كل شيء إذا أردنا أن نحاول رسم صورة للمجتمع المصري الأصيل الذي كان يعيش في إحدى الدول التي قامت على أنقاض إمبراطورية «الإسكندر الأكبر»، على أنه يجب ألا يغيب عن أذهاننا أنه يوجد عقبات تقوم في وجهنا خلال بحثنا هذا الموضوع، وأول هذه العقبات أنه لم يكن في استطاعتنا أن نفرق بين مصري وإغريقي إلا في القرن الثالث أي في العهد الأول للسيطرة الإغريقية في مصر، وذلك لأن صبغة سكان أهل البلاد بالصبغة الهيلانستيكية وامتزاج الهيلانيين بهم قد خلق فيما بعد خليطاً كبيراً من الناس لدرجة أن مجرد ذكر الاسم قد أصبح لا يدل على قومية الفرد، والعقبة الثانية هي أن الغالبية العظمى مما وصل إلينا من الإضماتمات البردية كان مثلها كمثل المصادر الأخرى التي وصلت إلينا من العصر الهيلانستيكي قد دُون باللغة الإغريقية، يضاف إلى ذلك أن الأوراق الديموطيقية التي نُشرت حتى الآن لا تقدم لنا إلا معلومات قليلة عن المجتمع المصري، هذا فضلاً عن أن معظم الأوراق البردية الديموطيقية التي وصلت إلينا لم يُدرس بعد ولا يزال ينتظر الحل والفحص، وعلى أية حال فإن هاتين العقبتين السابقتين تفرضان على دراسة هذا الموضوع طرقاً وحدوداً لا مفر من اتباعها، ومن ثم يجب أن يكون أساس هذا البحث المصادر التي وصلت إلينا حتى الآن من القرن الثالث ق.م وهو موضوع بحثنا في هذا الكتاب، وفي الوقت نفسه يجب علينا أن نتعمق في تحليل هذه المصادر قدر المستطاع لنخرج منها بصورة تكشف لنا الحجاب عن حالة المجتمع المصري الذي ظل مجهولاً لنا حتى الآن، والمصدر المنقطع القرين الذين سيكون عمادنا

^١ راجع: The Journal of Juristic Papyrology, Vol. VII-VIII, 1953-1954. Anna Swiderck.

في هذا البحث، وهو سجلات «زينون» وقد انتفع به من قبل الباحثون بدرجة كبيرة في دراساتهم للحياة الاقتصادية في مصر البطلمية، وقد تحدث المؤرخ الكبير «روستوفتزف» عن هذه السجلات في كتابه الخالد المسمى «ضيعة كبيرة»،^٢ هذا وقد ذكرت لنا الآتسة «بريو» قائمة بمحتويات سجلات «زينون»،^٣ وإلى سجلات «زينون» يرجع الفضل في درس هذا الموضوع بما تحتويه من مادة غزيرة وما تشمله من معلومات متنوعة مما يفتح لنا الطريق وينيره حتى نرى البناء الداخلي للمجتمع المصري الأصيل خلال القرن الأول من السيطرة الإغريقية وموقفها المادي، فسئرى فيه العداوة بين الحاكم والمحكوم، والكرهية المتبادلة التي نبتت بسبب ما ارتكبه الحاكم من جور واضطهاد بينهما، كما سئرى الروابط الأسرية وحياة الأسرة الخاصة وحالة السكان الأصليين بالنسبة للفتاحين الإغريق، وكذلك سئتضح لنا تضامن المصري مع أخيه المصري على الغاصب الأجنبي، كما سنشاهد انقسام بعض الجماعات على بعضهم البعض، والتنافس الذي يقوم بين أصحاب الحرف والمهن، وكل هذه الأمور قد تسمح لنا أن نفهم بصورة أفضل سياسة البطالمة نحو رعاياهم غير الإغريق، كما تسهل لنا بوجه عام التعمق في معلوماتنا التاريخية للمؤسسات الهيلانستية، كل هذه الموضوعات لم يكن درسها حتى الآن مما كشف من الأوراق الديموطيقية التي لا تزال في مستودعات المتاحف والمكتبات لم تُحلَّ بعد!

ومما يجب التنويه عنه هنا أولاً أن المصريين الذين جاء ذكرهم في رسائل سجلات زينون هم من الطبقة الدنيا والقليل منهم من الطبقة الوسطى، والشخصية الوحيدة التي تعتبر في هذه السجلات من علية القوم هو الكاهن الأكبر «بتوزريس» على ما يُظنُّ، وهو الذي أمر «زينون» بتوصيل رسالة إليه كما جاء ذلك في وثيقة.^٤

وعلى الرغم من ذلك فإن هذا المجتمع الذي يصادفنا في هذه السجلات لم يكن متجانساً؛ إذ نجد أن المصريين كانوا يمارسون عدداً كبيراً من الحرف والمهن فكان جَمُّ

^٢ راجع: M. Rostovtzeff. A Large Estate in Egypt, in the Third Century

^٣ راجع: C. Preaux, Les Grecs in Egypte d'après les Archives des Viereck, Philadelphia, 1907; Morgenland, Beiheft Zum Alten Orient XVI, C. C.; Edgar, Introduction to the Zenon Papyri in the University of Michigan Collection

^٤ راجع: Papiri greci e latini (Publicazioni della Società Italiana per la ricerca dei Papiri greci e latini in Egitto) by G. Vitelli, M. Norsa and others. Florence 1912, etc. P. 642. The latest part is fasc. I, of Vol. XIII. PSI

غفير منهم يفلح الأرض، في حين نجد نفرًا منهم كانوا يربون الخنازير، كما وجدنا من بينهم نحّالين وضاربي طوب وقاطعي أحجار وصُناع فَخَّار وَبِنَائِي سفن، وصغارَ موظفين يعملون في إدارات الحكومة أو الشرطة. هذا وكان آخرون يشتغلون في ضيعة «أبولونيوس» وزير «بطليموس الثاني» تحت إدارة «زينون» وكيله، أو كانوا يعملون في التجارة إما بوصفهم عملاء «زينون» أو يعملون لحسابهم الخاص، وأحيانًا نجد في هذه السجلات ذكر كهنة وبخاصة من الطبقة الدنيا، كما نجد فَرْقًا مُحَسَّسًا بين أفراد حرفة واحدة، وبصورة عامة يُلاحظ أن كل هؤلاء المصريين كانوا يحتلون مكانة اجتماعية أقل من التي كان يتمتع بها الإغريق المحتلون، وذلك على الرغم من أنه يوجد بين الإغريق من ينتمي إلى الطبقة السفلى من طبقات المجتمع المصري.

والخاصية التي يتميز بها المجتمع المصري كما يُستنبط من سجلات «زينون» — عندما يتناول البحث ضيعة «أبولونيوس» في «الفيوم» وهي نفس الحالة تقريبًا في كل المتون — هي أن الأغلبية كانت مؤلفة من وافرٍ من جدد، وهذا ينطبق على المصريين وعلى المهاجرين الإغريق على السواء، وذلك لأن «فيلاذلفيا» كانت مؤسسة جديدة، وكان معظم السكان الذين وفدوا عليها من القرى المجاورة، ولكننا نرى بينهم كذلك رجالاً وحتى موظفين هاجروا إليها من مقاطعات نائية،^٥ هذا ونجد في أسفل درج هذا السلم الاجتماعي الطبقة المغمورة الذكر وهم الفقراء والمُعَوِّزُونَ من أبناء الشعب المصري ويؤلفون وحدة مميزة، ونعرف في معظم الأحيان أسماءهم وكذلك نعرف أن الجزء الأعظم منهم كانوا مصريين، والكلمة الإغريقية «لاوس» Laos كما لاحظ أحد العلماء لا تدل على الفريق المصري من الطبقات الاجتماعية الدنيا، ولكن تدل على مجموع الطبقة السفلى دون تمييز قومية.^٦

ويندر في الواقع أن نجد في المتون ذكر قومية هذه الطبقة من السكان (لاوي) ومع ذلك نصادف في متون سجلات «زينون» سوريين وعربًا وبدوًا.^٧

^٥ راجع: C. Preaux, Les Grecs. P. 68.

^٦ راجع: W. Peremans. V. E. P. 266.

^٧ راجع: Ibid. P. 86; F. Heichelheim Auswartige Bevolkerung in Ptolemaerreich, P. 70.

ومن المحتمل أنه كان من بينهم أسرى حرب قدامى جُلبوا من الحروب الكثيرة التي شنها «بطليموس الثاني» وأخلافه من بعد «أيرجيتيس»^٨، وأفراد هذه الطبقة السفلى = (لاوي) كانوا قبل كل شيء مزارعين ملكيين^٩ حيث نجد أنه قد مُيزت ثلاث طرق لاستغلال الأرض التي استُعملت في ضيعة «أبولونيوس»، وهاك هذه الطرق؛ أولاً: كان «زينون» وكيل «أبولونيوس»، يُؤجر الأرض إلى ملتزمين بطريق المزداد العلني، وهؤلاء الملتزمون كانوا في معظم الأحيان من الإغريق أو من المقدونيين، كما كان يوجد من بينهم عدد قليل من المصريين، هؤلاء المؤجرون أو الملتزمون من جهتهم كانوا يستخدمون عمالاً بمرتبات يكاد يكونون كلهم من المصريين، أو كانوا بدورهم يؤجرون جزءاً من النصب الذي أجروه إلى مؤجرين آخرين مصريين. ثانياً: كان «زينون» يعقد عقوداً مع جماعات من المزارعين الذين كانوا يؤجرون قطعاً صغيرة من الأرض وتسمى الأرض التي يزرعها الناس، ويظن المؤرخ «فسترمان» أن القطعة التي كان يؤجرها كل مزارع سواء أكان هذا الإيجار مباشراً أو غير مباشر تتراوح مساحتها ما بين ١٥ إلى ٢٠ أروا. ثالثاً: كان الجزء الباقي من الأطنان تزرعه إدارة ضيعة «أبولونيوس» دون وسيط، وذلك بمساعدة عمال مأجورين، كانوا بوجه عام مصريين.

ومن ثم نرى أن الطبقة السفلى كان أفرادها يشتغلون في أرض «أبولونيوس»، بوصفهم صغاراً مؤجرين أو عمالاً مأجورين، وكان هؤلاء الكادحون يعملون في الأرض بالمشاركة وكذلك أتت نفس الطريقة في الحيوان،^{١٠} كما كانوا يُستخدمون في أعمال الري التي كانت كثيرة في الفيوم،^{١١} وكذلك كانوا يُستخدمون عمالاً في المباني العامة والخاصة،^{١٢} وتدل شواهد الأحوال على أن علاقات هذه الطبقة من العمال مع الموظفين الإغريق كانت

^٨ راجع: Rostov, H.W. P. 203.

^٩ راجع: Rostov, (L.E. 72 ff).

وكذلك راجع مسترمان W. L. Westermann, A lease from the Estate of Apollonios, Memoirs of the American Academy in Rome, Vol. VI. P. 13

^{١٠} راجع: P. Cairo-Zenon, 59362.

^{١١} راجع: PSI 577. وكذلك راجع F. Sammelbuch Griechischer, Urkunden aus Agypten by P. Preisiger and E. Kiesling P. 6797

^{١٢} راجع: P. Cairo-Zen. 59294.

موحدة، ويظهر أنهم كانوا يؤلفون كتلة قوية كانت الإدارة تحسب حسابها،^{١٣} وذلك على الرغم من وجود شجار خطير بين طبقة العمال هذه الذين ينتمون إلى أقاليم مختلفة،^{١٤} هذا وكانت هذه الطبقة الكادحة تمثل أمام الإدارة الإغريقية في أغلب الأحيان بمجلس من الشيوخ،^{١٥} وكذلك برجال يسمون رؤساء العشرات،^{١٦} وفي حالات قليلة جداً كان يمثلهم حاكم القرية.^{١٧}

وكانت الإدارة الإغريقية تمد (صغار الفلاحين «لاوي») المزارعين بالبذور والحيوان والآلات وحتى بالمساكن اللازمة لهم،^{١٨} وكان الكادحون يتسلمون أحياناً القمح لأجل أسرتهم في بعض الحالات،^{١٩} وكانت الإدارة أحياناً تحمي هؤلاء الكادحين من الأعباء المالية المُرهِقة (P. SI 483)، فكانت تقرضهم النقود لدفع ضرائبهم،^{٢٠} ولما كان إيجار الأرض مرتفعاً فإن المزارعين كانوا غالباً ما يصبحون عاجزين عن دفعها،^{٢١} كما كان من الصعب أن يتفقوا مع الموظفين الإغريق، هذا وكان تغير أحوال العمل في أرض الإقطاع التي كانت ملك الجنود المرتزقة يؤدي إلى قيامهم باحتجاجات شديدة بل وإلى إضرابهم، كما يُلحَظ ذلك في حالات معينة؛ مثال ذلك ما جاء في وثيقة من سجلات زينون (P.C.Z. 59245) حيث نجد أن المزارعين قد تركوا الأرض التي كانت ملكاً لجنود مرتزقة إغريق ثم لجئوا إلى المعبد، يضاف إلى ذلك أن مسألة السكن لم تكن دائماً متفقاً عليها بطريقة مرضية كما نعلم ذلك من وثيقة سجلات «زينون»،^{٢٢} غير أن هذه الوثيقة بكل أسف

^{١٣} راجع: Cairo-Zen. 59815, 59203; PSI. 380; P. Mich. I, Zenon Papyri in the University of Michigan Collection by Edgar. P. 98; P. Lond. Inv. 2090 & 2094 (Sb. 7986); Rostov. L.E. 73 ff

^{١٤} راجع: P. London Inv. 2088. Rostov. L.E. P. 80

^{١٥} راجع: P.C.Z. 59699, 59520; PSI. 380, 627; P. Lond. Inv. 2090; Rostov. L.E. P. 73

^{١٦} راجع: P.C.Z. 59294; PSI. 676, P. Mich. Z 98

^{١٧} راجع: P. Lond. Inv. 2088; Rostov, L.E. 73 (?)

^{١٨} راجع: Preaux, Les Grecs, P. 50, No. 9. + PSI. 675; P. 51, nn. 1, 2, 3, P.C.Z. 59316

^{١٩} راجع: P.C.Z. 59294, USI. 498

^{٢٠} راجع: P. Lond. Inv. 2097; Rost. L.E. P. 81

^{٢١} راجع: Preaux L'Economie Royale des Lagides (Cité-ci après C. Preaux E.R.) P. 131 ff.;

.C. Preaux, Les Grecs. P. 49 f. Rostov. H.W. PP. 279. 1102; PSI 502; P.C.Z. 59640

^{٢٢} راجع: P.C.Z. 59410

وُجِدَت ممزقة، وفي بردية أخرى،^{٢٢} نجد أن قلة الماء قد سببت منافسات بين جماعة مختلفة من طبقة الكادحين في الأرض، يضاف إلى ذلك أن حوادث السرقة العدة تنير لنا الطريق كثيراً عن أحوال معيشة الفلاح المصري، فمن ذلك ما نقرؤه في بردية P.C.Z. 59368 أن الأهالي سرقوا دريساً ترك لمدة دون حراسة، وفي وثيقة أخرى^{٢٤} نقرأ أن المصري «باوس» Paues وهو عامل بمرتب عند مصري آخر يُدعى «فابيس» Phabis قد هرب بحمار وحقائب، هذا وقد كتب حاكم المقاطعة «داميس» Damis إلى «زينون» في موضوع مزارعين قد سرقوا بقرة، PSI. 366 وكذلك تحدثنا ورقة من أوراق سجلات زينون المحفوظة في مشيجان،^{٢٥} أن سكان قرية عن بكرة أبيها قد وحدوا كلمتهم على ما يظهر للدفاع عن بقرتين وعجل قد شك في أنها قد سُرقت، ومن المحتمل أن موقف الفلاحين كان يزداد سوءاً عندما كانت حريتهم في التنقل لم تكن تامة على الأقل لمدة فترة معينة.^{٢٦}

ومما يجب ملاحظته هنا أن عبارة مزارعي الملك لا تعني فقط الفلاحين الذين يؤجر لهم زينون الأرض بعقود جماعية بل هم كذلك مزارعون مستقلون لديهم عقود منفصلة، وكانوا يُثْمِرُونَ قطع أراضيهم على حسب رغبتهم تحت المراقبة الشديدة من قبل الحكومة أو من قبل إدارة الضيعة، ومساحة قطع الأرض التي كان يزرعها المصريون كما وردت في وثائق «زينون» مختلفة جداً، فأصغر قطعة مساحتها ثلاثة أرورات،^{٢٧} ولكن نصادف بينها كذلك قطعة كبيرة جداً؛ مثال ذلك قطعة مساحتها حوالي ٢٠٠ أرورا في نفس المجموعة P. Col. Zen 78 ونجد قطعة تبلغ مساحتها ٨٨٠ أرورا.^{٢٨}

أما الجنود المرتزقون من الإغريق والمقدونيين الذين لا يريدون زراعة أرضهم بأنفسهم فإنهم كانوا ينزلون عنها غالباً إلى مؤجرين مصريين مثل «جامبيس» Gampis

^{٢٢} راجع: P. Lond. Inv. 2088 24

^{٢٤} راجع: P. Mich. Zen. 31 (?)

^{٢٥} راجع: P. Col. Zen. 85 27

^{٢٦} راجع: P. Mich. Z. 98. W. Peremans V. E. P. 109; Westermann, Agricultural History I.

.P. 24 ff; C. Preaux Les Grecs. P. 19 ff, Rostov, H.W. P. 320; Rostov, L.E. P. 71

^{٢٧} راجع: Business Papers of the third Century B. C. dealing with Palestine and Egypt, 2

.vols. by W. L. Westermann and others New York, 1934-1940, P. 85 27 (P. Col. Zenon)

^{٢٨} راجع: P. Mich. Zen. 31 (?)

ورفاقه كما جاء في ورقة من مجموعة أوراق كولومبيا^{٢٩} هامة كذلك من وجهة نظر أخرى؛ إذ نرى فيها أربعة مزارعين في مقاطعة «أهناسيا المدينة» وهم «جامبيس» Gampis و«بوكاس» Pokas، و«بتوباستيس» Petobastis و«باسيس» يمشون عقدًا جماعيًا من مالك أرض إغريقي من الجنود المرتزقين يُدعى أسكليبيادس Asklepiades وهو مالك لقطعة أرض مساحتها مائة أروا، هذا ونجد في حالات أخرى كذلك شركاء يزرعون الأرض سويًا كما هي الحال في إحدى وثائق مجموعة زينون.

وتدل شواهد الأحوال على أن حالة بعض هؤلاء المزارعين كانت لا بأس بها نسبيًا؛ إذ نجد مزارعين مؤجرين لقطع أرض وفي الوقت نفسه يملكون قطع أرض صغيرة مثل الكهنة والموظفين،^{٣٠} ونجد كذلك عددًا كبيرًا منهم كانوا مرءوسين «لزينون» و«أبولونيوس» في الوقت نفسه ويتقاضون أجورهم منهما، وكانت الإدارة تقدم البذور،^{٣١} والآلات (Ibid. P. 51)، والحيوان للمزارعين (PSI 422)، وكانوا يقرضون القمح والنقود لمساعدتهم في وقت الأزمات الموسمية،^{٣٢} وكانوا كذلك يتسلمون أربعة أوبولات مقدمًا عن كل أروا مقابل قطع الأشجار والأعشاب وحرق الأخشاب المضرة، وفي إحدى متون لندن (P. Lond. Inv. 2316 36. Preaux Les Grecs, P. 17, No. 9) نجد أن «بأوبيس» وهو مالك قطعة أرض في ضيعة «أبولونيوس» أقام لنفسه بيتًا في «فيلادلفيا»، ونعلم كذلك من بردية في القاهرة^{٣٣} أن مزارعًا آخر كان عليه أن يقيم بيتًا لنفسه، وأن «زينون» أقرضه مبلغ عشرين درخمة لهذا الغرض، والظاهر أن بعض المصريين كان يملك ممتلكات أخرى، فنسمع كلاً ما عن كرم «كليزيس» Keleesis و«فانيوس» Phaneuis و«حوروس» (PSI. 393, 508).

فهل المقصود هنا من هذه الحالات أنها أرض إقطاع مؤقتة؟ وكان المزارعون المصريون يستخدمون غالبًا أعمالًا بمرتب،^{٣٤} ومع ذلك فإن السواد الأعظم من الفلاحين

^{٢٩} راجع: P. Col. Zen. 85 27.

^{٣٠} راجع: W. Peremans V. E. P. O. 7.

^{٣١} راجع: Preaux, Les Grecs, P. 51, n. I; P.C.Z. 59719.

^{٣٢} راجع: P. Mich. Zen. 119, P. Cairo.

^{٣٣} راجع: Zen, 59113, 59114, 59173, 59176.

^{٣٤} راجع: PSI 398; P. Lond. Inv. 2316; Rostov. L.E. P. 117.

كانت حالتهم لم تكن سهلة ميسورة، ناهيك عن الضرائب والإيجارات التي كانت أحياناً فادحة حتى أصبح من الصعب دفعها،^{٣٥} يضاف إلى ذلك أعمال السُّخرة العديدة التي كانت غالباً تنتزع الفلاحين من أعمالهم العادية.

وعندما كانت الأزمات تشتد بدرجة لا تطاق كان المصري يلجأ أحياناً إلى ملاذهِ الوحيد وهو الهرب والالتجاء في المعبد الذي كان دخوله محرماً على الإغريق،^{٣٦} وفي كثير من الأحوال كانت إدارة الضيعة أو إدارة الحكومة تسجن الفلاحين الذين لم يكن في مقدورهم دفع ديونهم.^{٣٧}

وأهم مجموعة من السكان بعد الكادحين في سجلات «زينون» تتألف من مربي الخنازير ويبلغ عدد ما ورد منهم في سجلات «زينون» حوالي أربعين، نذكر بعضهم على سبيل المثال: «أمنوس» Amenneus و«أبيوس» Apeus،^{٣٨} «ثوتيس» Thoteus.^{٣٩}

ومما يجب ملاحظته في هذا الصدد أن الإغريق كانوا لا يمارسون هذه المهنة،^{٤٠} وحراس الخنازير هم بوجه خاص كانوا مؤاجرين، وذلك لأن إدارة الضيعة هي التي كانت تكل إليهم أمر تربية الخنازير أو أنهم كانوا يشتغلون بتعهد قطعان كانت ملكاً خاصاً لإغريق من سكان فيلادلفيا أو غيرها من القرى،^{٤١} ولا بد أنه كان يوجد مربيون للخنازير بمرتب، وذلك على الرغم من أنه من الصعب تمييزهم في المتون التي في متناولنا،^{٤٢} ومع ذلك لدينا بعض وثائق نجد فيها أن مؤجري الخنازير يدفعون أجرها، وذلك بتوريد عدد محدد من الخنازير سنوياً، هذا ولدينا وثيقة^{٤٣} جاء فيها ذكر عقد أبرم مع مربي خنازير.

^{٣٥} راجع: Rostov. H.W. P. 279. P. 1102.

^{٣٦} راجع: P.C.Z. 59329 1.14.

^{٣٧} راجع: P.C.Z. 59130, 59329, 59496; S. B. 7285.

^{٣٨} راجع: P.C.Z. 59397 P.C.Z. 59652.

^{٣٩} راجع: P.C.Z. 5933, 59439 The Journal of Jurisiic Papyrology 1953-54. P. 237, Note 43.

^{٤٠} راجع: W. Permans V. E. 277 135 ff.

^{٤١} راجع بوجه خاص زينون وأخاه إيفارمستوس، Epharmostos P.C.Z. 59312, 59334, 59346. 59310.

^{٤٢} راجع: C. Preaux, Les Grecs, P. 34.

^{٤٣} راجع: P.C.Z. 59228.

وكان يدير استثمار مزرعة خنازير فيلادلفيا مدير يُدعى «هيراكليديس»^{٤٤}، ومع ذلك لا بد أن نلاحظ أن اسم أخيه «با أبيس» وهو اسم مصري يدل على اختلاط في الدم أي إغريقي مصري،^{٤٥} ولم يكن مربو الخنازير مرتاحين لمديهم في كثير من الأحوال، ولدينا شكاوى عدة موجهة لزينون في هذا الصدد، وقد شكّا «هيراكليديس» مربو الخنازير نفسه كذلك من المتاعب التي كان يسببها له مرءوسوه (P.C.Z. 59439).

ونجد أحياناً أن مربو الخنازير كانوا يقومون بتربية قطعان كبيرة أحياناً مثل بتوس Petos^{٤٦} فقد كان يرعى أربعمائة خنزير ملك «أرتيميديوس» Artemidoros، وكذلك نجد مربو خنازير آخرين جاء ذكرهم في وثيقة، كان كل واحد منهم يحرس قطيعاً عدده سبعون حيواناً، ومع ذلك فإن حالتهم المادية لم تكن سهلة ميسورة، والظاهر أنه بين الذين كانوا يربون الخنازير التي كانت ملك الضيعة من كانوا يتسلمون لقطعانهم العلف الذي تورّده لهم إدارة الضيعة،^{٤٧} ولكن لدينا شكاوى عدة من مربو خنازير يشكون فيها لزينون بأنه لا يوصل إليهم ما هو حقهم، ومن ثم يطلبون إليه يد المساعدة، وفي رسالة إلى «زينون» من «أمنوس»^{٤٨} تقول: إن «أمنوس» حارس الخنازير، قد أمره «زينون» أن يسمن خنازير لعيد «أرسنوي»، وقد فعل ذلك ورهن ملابسه ليحصل على النقود، ولكن عندما أحضر الخنازير على قرية معينة سُرق منها اثنان، وقد رفض الرجل الذي سرقهما أن يعترف بجريمته مُدّعياً أن الخنزيرين اللذين اختفيا قد أكلهما تمساح، وعلى ذلك رجا «زينون» أن يكتب لأهل القرية وحاكم المقاطعة بالألا يسمح بإتيان مثل هذه الأشياء، كما شكّا كذلك أن رجلاً بعينه قد شكاه من قبل لزينون لم يسمح له برعي خنازيره، وفي متن آخر^{٤٩} نقرأ أن مربو خنازير (اللهم إلا إذا كان مربو ماعز) وفد حديثاً على «فيلادلفيا»، وهو يطلب حماية «زينون» لأنه تعترضه عقبات، فقال: لقد مضى عليّ أربعة أشهر في أرض غريبة ونحن في موقف حرج، وقد رفض حارس الباب أن يسمح له بالدخول على

^{٤٤} راجع: PSI 384 C. Z. 59330, 59331, 59831.

^{٤٥} راجع: P.C.Z. 59310.

^{٤٦} راجع: P.C.Z. 5652.

^{٤٧} راجع: P.C.Z. 59439.

^{٤٨} راجع: P.C.Z. 59376.

^{٤٩} راجع: P.C.Z. 59493.

«زينون»، وربما كان ذلك هو السبب في تقديم هذه الشكاية كتابة وفيها يشكو من سوء حاله ويقدم بعض المعاذير لنفسه على عدم قدرته على دفع ما عليه من دين، ومن أكبر الهموم التي كانت تُقَضُّ مضجع مربى الخنازير هو اضطرابهم لتوريد عدد معين من الخنازير بمثابة إيجار لصاحب الخنازير فمن هؤلاء «بتوس» مربى الخنازير،^{٥٠} وهو الذي كان قد وكل إليه أربعمئة خنزير وعدداً غير معروف من الخنازير الصغيرة وكان مديناً له بإيجار قدره ٢١١ خنزيراً صغيراً، وقد هرب ولم يترك خلفه إلا سبعة خنازير، ولدينا مربى خنازير آخر P.C.Z. 59279. رفض أن يدفع ما عليه من إيجار وقد سُجِنَ من أجل ذلك، ووُكِّلَ أمر قطيعها إلى آخر، وفي رسالة أخرى كتبها «بتنوريس» Peterouris وآخر يُدعى «سامويس» Samoys إلى «زينون» وهما مربيا خنازير وكانا قد سُجِنَا لجرم ارتكباها وقد اعترفا أنهما قد ارتكبا خطأ ولكنهما مع ذلك يطلبان الرحمة من «زينون» خوفاً من أن تموت قطعانهم لعدم عنايتهما بها شخصياً وهما كذلك يُحتَضِران لعدم حصولهما على ما يقيم أودهما، والظاهر أن «هيراكليديس» نفسه أو فرداً آخر غيره (لأن الاسم سقط)، وكان يشغل وظيفة أعلى من غيره بين مربى الخنازير كان قد قبض عليه قائد الجيش المحلي لبلدة الفيوم.^{٥١}

ولا بد أنه كانت توجد هناك أحياناً صعوبات أخرى من المستحيل علينا فهمها تماماً، وذلك لأننا لا نعرف الأحوال التي كانت تحيط بها؛ مثال ذلك حالة مربى الخنازير تموس Thamoys الذي جاء ذكره في بردية بالقاهرة،^{٥٢} وكان يشكو من أن رجلاً يُدعى «بزوسناو» Psosnau هاجمه هو وزوجه، أما حراس الماعز والغنم فكان معظمهم من العرب،^{٥٣} ومن الصعب أن نميز قوميتهم وذلك لأنهم يحملون أسماء مصرية أو إغريقية، وكان «زينون» بوصفه مدير ضيعة «أبولونيوس» أو باسمه الخاص بوصفه مالكاً حراً يُؤجر هذه القطعان إلى أصحاب المراعي، هذا ويمكن أن نفهم من متن^{٥٤} أن هؤلاء كان لهم مدير؛ فقد كان «هرمياس» على ما يظهر يعمل بوصفه ممثلاً لزينون، ومن جهة

^{٥٠} راجع: P.C.Z. 59310.

^{٥١} راجع: P.C.Z. 59819.

^{٥٢} راجع: P.C.Z. 59443.

^{٥٣} راجع: Rostov. L.E. P. 113, Preaux Les Grecs, P. 33.

^{٥٤} راجع: PSI. 380.

أخرى نعلم أن «هرمياس» بوصفه مربّي غنم،^{٥٥} وقد عدّه المؤرخ «روستوفتزف» عربيًّا (Rostov, L. E. P. 179 f).

وعلى الرغم من أن حراس الماعز كانوا تابعين إلى الإدارة الإغريقية وإلى شخص زينون، فإنهم في كثير من الأحيان كانوا في حالة بؤس، ومن أجل ذلك فإنهم أحيانًا كانوا يلجئون إلى طرق لكسب قوتهم لم تكن دائمة شريفة، ومن ثم نجد صاحب مرعى^{٥٦} يتهم عند «زينون» رفيقه بأنه يبيع كلاً المرعى لآخرين، ونجد أحيانًا أن العقبات التي تعترض هؤلاء التعساء تكون ذات صبغة أخرى، فمثلًا نجد في متن^{٥٧} أن فردًا من الطبقة الدنيا يهاجم رعاة غنم «زينون»، والظاهر أن سبب الشجار في هذه الحالة كان على المرعى، هذا ونجد في نهاية الأمر أن «هرمياس» الذي كتب هذه الرسالة إلى «زينون» يذكر كذلك حارس ماعز اتُّهم بالتهب وأنه حُبس من أجل ذلك، وعلى أية حال نلاحظ أن قليلًا من المصريين كانوا يهتمون بتربية الخيل والبقرات،^{٥٨} ومع ذلك يصادفنا مصريُّ يربي عجوله يتحدث عن الخيل وغذائها،^{٥٩} ولكن نجد المصريين يهتمون في أغلب الأحيان بتربية الطيور، ففي متن (C. Z. 59715, 1-22) نجد مربّي أوز يتسلم قمحًا لغذائها، وفي متن آخر (P.C.Z. 59498) نقرأ أن «بتوباستس» مربّي حمام «زينون» كما يشكو من أنه لم يتسلم مرتبه منذ أربعة أشهر، وأن الشعير الذي يقدّم له لطعامه لا يؤكل، ومن ثم يرجوه أن يتدبر الأمر حتى يمكنه هو وأولاده أن يقوموا بواجباتهم.

المواصلات

وكانت المواصلات برًّا مضمونة في أغلب الأحيان بواسطة الحمير، وكانت إدارة الضيعة تورد القمح للحمارة،^{٦٠} هذا ونقرأ في رسالة هامة جدًا،^{٦١} أن فردًا يدعى «نيكون» Nikon

^{٥٥} راجع: P.C.Z. 59328, 59340? 59429; P. Mich. Zen. 67, S. B. 7984.

^{٥٦} راجع: P.C.Z. 59628.

^{٥٧} راجع: PSI. 380.

^{٥٨} راجع: Rostov. L.E. P. 111.

^{٥٩} راجع: PSI 911; P.C.Z. 5936; 6. 18, 59659, 1. 139, PSI, 371, 1. 18.

^{٦٠} راجع: P.C.Z. 59176, 59292, 59715 1.18.

^{٦١} راجع: P. Col. Z. 21.

يخبر «باناكستر» أن هناك حمارة ممن ينقلون الأمتعة قد استهلكوا مكياً من زيت الخروع (كوس) وأنه يطلب إليه أن يجبرهم على إعادة الزيت أو أن يدفعوا ثمنه وهو أربع درخمت، ومما يجدر ملاحظته هنا أن أربع درخمت في هذا الوقت كانت تساوي مرتب حمارة لمدة أربعة وعشرين يوماً.^{٦٢}

وطريقة النقل هذه كانت في «فيلادلفيا» تحت إدارة إغريقي، وهو «نيكياس» الذي يصادفنا كثيراً في متون سجلات «زينون»، فهو الذي كان ينظم عمل الحمارة أصحاب المرتبات في ضيعة «أبولونيوس»، هذا وكان هناك ملاك حمير مستقلون يؤجرون حميرهم.^{٦٣}

يضاف إلى ذلك أن نيكياس Nikias، بوصفه مديرًا كان مصدر مضايقات كثيرة للنحاليين الوطنيين، فقد كانت الحمير أغلى ما يملكون؛ إذ كانوا يستعملونها لنقل خلايا النحل إلى المراعي الجديدة،^{٦٤} ومن أجل ذلك طلبوا إلى «زينون» أن يحميهم من طلبات «نيكياس» المتكررة في أعماله،^{٦٥} ففي المصدر الأخير نجد أن «زينون» كان قد أمر النحاليين أن يرسلوا حميرهم إلى «فيلادلفيا» ليعملوا هناك مدة عشرة أيام، ولكنهم شكوا من أنه قد حجزها لمدة ثمانية عشر يوماً وأنه ليس لديهم حمير لإعادة نقل خلاياهم من المراعي، وأن مؤجري الأطنان يندرونهم بأنهم سيطلقون الماء ويحرقون الحشيش، وعلى ذلك فإنه إن لم تأت الحمير في الحال لنقل الخلايا فإن خلايا نحلهم ستلتف ومن ثم سيخسر الملك كثيراً من دخله، وقد وعدوا أن يعودوا بالحمير بمجرد نقل خلاياهم.

هذا وكانت خلايا النحل في معظم الأحيان ملك ضيعة «أبولونيوس»،^{٦٦} أو ملك إغريق مهاجرين،^{٦٧} وكذلك ملك معابد (P.C.Z. 59520) وكانت تؤجرها إلى مصريين، ونجد من بين النحاليين رجالاً لهم مكانة في المجتمع؛ مثال ذلك «تيوس» Teos الذي جاء ذكره في

^{٦٢} راجع: Fr. Heichelheim, Wirtschaftliche Schwankung en der zeit von Alexander bis Augustus. P. 123, Cf. Calculs de W. L. westermann, Zenon Papyri, Vil. I. P. 70 (ad. p. Col. Z. 21)

^{٦٣} راجع: W. L. Westermann Zenon Papyri, Vol. I. P. 67 Introd. P. Col. Zen. 20

^{٦٤} راجع: C. Preaux.E.R. P. 233 ff; Les Grecs. P. 36. f;

^{٦٥} راجع: P. Mich. Zen. 29; P.C.Z. 59467

^{٦٦} راجع: P.C.Z. 59467, 59516

^{٦٧} راجع: P.C.Z. 59368

بردية،^{٦٨} فقد كان يكتب إلى «زينون» كأنه في مستواه، ولكن لدينا كذلك امرأة تُدعى «سنخسو» وهي أرملة فقيرة^{٦٩} وقد كتبت إلى زينون تشكو إليه «نيكاس» الذي أخذ منها أتانها الوحيدة وقد رجت «زينون» في أن يعيد إليها أتانها، وقد وعدته مقابل ذلك أن تهديه وليد هذه الأتان.

وكان مربو النحل يئنون تحت أعباء عدة الضرائب (PSI 510) وكانوا تابعين لملاك من إغريق وكانوا يتصادمون بعقبات أحياناً لم يكونوا هم المسؤولين عنها على ما يُظنُّ،^{٧٠} حيث نجد أن النحالين كانوا يملكون ألف خلية نحل أجروا بعضها لأهالٍ مختلفين في «أهناسيا المدينة»، وبعضها الآخر في مقاطعة «منف»، وقد نقلت الخلايا الأخيرة إلى مقاطعة أهناسيا المدينة دون إذن منهم، وعلى ذلك نجد أن «أمونيوس» السكرتير المالي سجن حراس النحل، وبذلك أحدث ضرراً كبيراً بالخلايا، وإن كان فيما بعد قد أطلق سراحهم.

الجمعة

وكان المصريون الأكثر إقداماً يشتغلون في صناعة الجمعة فكانوا يشترون رُخْصاً لبيعها، ولما كانت طلبات الإدارة من حيث الضرائب تكاد تكون أكثر مما يجب، فقد أدى ذلك إلى أن أصحاب الحانات ينقضون تعهداتهم مع الإدارة مما كان يؤدي إلى متاعب كثيرة كانت تنتهي بالسجن،^{٧١} وقد تحدثنا عن ذلك من قبل في مكانه.

وهناك من كان يؤجر الحمامات،^{٧٢} وكذلك كان يجد مؤجرو الحمامات متاعب عدة،^{٧٣} فقد شكى «أنارويس» Inaroys من أنه لا يمكنه أن يدفع إيجار الحمام، وقد كتب كذلك صاحب حمام يُدعى «باثوفيس» Pathiophis،^{٧٤} إلى «زينون» يتضرع إليه في رسالة

^{٦٨} راجع: P.C.Z. 59516.

^{٦٩} راجع: P. Mich. Z. 29.

^{٧٠} راجع: P.C.Z. 59368.

^{٧١} راجع: P.C.Z. 59202, 59204, 59297, 59403; P. Mich. Z. 36; W. L. Westermann Zenon.

Papyri, Vol. I, P. 83 ff.

^{٧٢} راجع: P.C.Z. 59453; PSI 355; P. Col. Zen. 57, 103; SB. 6800.

^{٧٣} راجع: P.C.Z. 59453.

^{٧٤} راجع: SB. 6800.

مؤثرة أن يطلق سراح زوجه المسجونة التي ينفطر قلبها شفقة ورحمة على أولادها كما أنه هو نفسه أصبح غير قادر على مزاولة عمله ويسأله أن تأخذه الشفقة بهم هذه المرة وإذا وجد أنهما يأتیان مثل هذا الذنب مرة أخرى فإنهما لن يسألاه الرحمة، والمفهوم من هذه الرسالة أن مؤجر الحمام وزوجه لا بد كانا قد أتيا مخالفة نكراء.^{٧٥}

ونقرأ في بردية أخرى حالة مؤجر حمام آخر؛ وذلك أن «بايس» قد سُجن كذلك بسبب حمامه وأنه حتى بعد خروجه من السجن كان يعاني مصاعب مع السكرتير المالي، فضلاً عن ذلك لم يكن في حمامه ماء للمستحمين.

ونصادف في سجلات زينون أحياناً ذكر مصريين يمارسون تجارات صغيرة،^{٧٦} وكانوا كذلك يعانون ألم الفقر؛ ففي متن^{٧٧} نجد أن «حارنتوتس» وهو تاجر «فول مدمس» يطلب بكل خضوع تخفيض الضرائب المطلوبة منه، كما كتب «ياسون» إلى «زينون» عن صاحب حانوت من أهالي «تانيس»^{٧٨} يستعطفه من أجله.

^{٧٥} راجع: P.C.Z. 59482.

^{٧٦} راجع: P.C.Z. 59490, Ibid. 59499 1.96; 59795 1.10; 59297, 59450, 59470, 59567 1.16; 59736, 59261 1.5.

^{٧٧} راجع: PSI. 402.

^{٧٨} راجع: P.C.Z. 59450.

مهندسو العمارة والعمال

لما كانت قرية «فيلادلفيا»، وكل ضيعة «أبولونيوس» تعتبر مؤسسة جديدة فلن يكون من الدهش أن يصل إلينا من وثائق سجلات زينون صدى هذا النشاط الكبير في إقامة المباني في الفيوم خلال حكم «بظليموس الثاني»، فتحدثنا الوثائق عن مهندسي عمارة من الإغريق يديرون عدة أعمال هناك، وسنرى في هذه الوثائق أسماء معروفة لنا تمامًا مثل «كليون» Kleon وتيودوروس.^١

هذا وجاء ذكر إغريقي آخر يُدعى «هيديلوس» Hedylos كان يلاحظ بناء المدينة.^٢ وكان تحت إدارة هؤلاء مهندسو عمارة من المصريين أو كانوا حتى يشتغلون مستقلين عنهم مثل «كومو أبيس» Komoapis،^٣ وسلفه «بتخنس»، (P.C.Z. 59172) وكذلك اثنان من مرءوسي زينون وهما «حوروس» و«بتوزريس».^٤ وكان يعمل مع هؤلاء جمٌّ غفير من العمال الذين كانوا يقطعون الأحجار ويهذبونها من المصريين، وكانت إدارة الضيعة تسلفهم الآلات المصنوعة من الحديد وتدفع مرتباتهم وتقدم لهم جراياتهم من القمح والجمعة،^٥ ونقرأ في متن (P.C.Z. 59499, 11, 26-43)

^١ راجع: P.C.Z. 59499, 11.43 & 74, P. Col. Zen. 104 1.1 (?); P. Lond. Inv. 2311 (?) Rostov L.E. .P. 176 f; P. Petrie III 13, 5; 13, 11; P.C.Z. 59620 1.2 (Cf. Petrie III 43); P. Lond. Inv. 2089

^٢ راجع: P.C.Z. 59302, 59531, 59666 1.5: 59762 1.5

^٣ راجع: P.C.Z. 59109

^٤ راجع: P.C.Z. 59291; 59176 1.80, 59592. P. Mich. Zen. 37; P. Col. Zen. 36; Wester-Zen. 37, P. Zenon Papyri, Vol. I, P. 88 Inrod. P. Col. Zen. 36

^٥ راجع: Preaux Les Grecs, P. 40, nn. 7, 8, 9

ذكر مخالفات ارتكبتها نحّات أحجار، وفي متن آخر، (Ibid. 59664) نقرأ أن عاملاً قد اتُّهم بأنه تسلم نقوداً ولم يؤدّ مقابلها عملاً، هذا ويحتمل ضاربو الطوب مكانة حقيرة بين كل أصحاب المهن ولا يتقاضون إلا أجرًا ضئيلاً جدًّا حتى بالنسبة للعامل المصري. والواقع أن مرتب الواحد منهم لم يصل إلى نصف «أوبول» يوميًّا في حين أن متوسط أجر العامل الذي ليس له مؤهل هو «أوبول» واحد يوميًّا، كما نجد ذلك مذكورًا في سجلات «زينون».^٦

وكان لا بد من أن يحلف ضاربو الطوب اليمين على أن ينجزوا عملهم^٧ الذي كان بوجه عام يعد من أعمال السُّخرة التي كانت تُفرض على السكان المصريين.^٨ وهناك مهنة أخرى كانت موقوفة بصورة عامة على المصريين وهي صناعة الفخار،^٩ ونحن نعرف الكثير من أسماء صناع الفخار، ويمكن أن نلاحظ بكل دقة علاقاتهم المتبادلة وموقفهم تجاه الإدارة الإغريقية، والواقع أنه توجد فروق كبيرة بين أفرادها من حيث المركز، فنجد من بينهم صناعًا مستقلين واثقين من مكانتهم الممتازة؛ مثال ذلك «بتيكاميس» Pettykamis،^{١٠} الذي سمح لنفسه أن يفرض شروطه على «زينون»؛ فقد كتب «بتيكاميس» «لزينون» يقول له: إنه يعرف بالتجارب إذا كان يعتقد فيه أنه رجل قدير في عمله أم لا، وأنه إذا كان يريد استخدامه فإنه لا بد له من مساعدين يكونون قادرين على العمل معه، وقد اقترح مساعدًا إضافيًا له يدعى باسيس Paesis وأولاده معه، وذلك لأنه يعتقد في قدرتهم وأنهم على علم تام بالتربة، ولا بد أن يبدهوا في شهر توت حتى يتم العمل في زمن مناسب وتكون نتيجته مفيدة، ثم يختم رسالته بطلب رؤية المكان الذي سيعمل فيه، هذا ولدينا صانع فخار آخر يدعى «نيئسيس» Neesis وأحيانًا يدعى «نيس» Nees يملك مصنع فخار في «أهناسيا المدينة»، ولكن في الوقت نفسه كان يدير

^٦ راجع: Heilchelheim Wirtschaftliche Schwankungen der zeit von Alexander bis Augustus, P. 123.

^٧ راجع: PSI. 1002; P.C.Z. 59133.

^٨ راجع: P.C.Z. 59230, 59451; P. Vierick Philadelpheia; C. Preaux Les Grecs. P. 40 ff.

^٩ راجع: W. Peremans V. E. P, P. 121.

^{١٠} راجع: P.C.Z. 59500 83.

أعمالاً في «فيلادلفيا»، وقد كتب إلى زينون^{١١} أنه سافر إلى أهناسيا ليدفع أجور العمال، وكذلك أرسل إلى فيلادلفيا أربعة مساعدين وستة عمال، وأخيراً نجده يشكو من أنه لم يتسلم إلا ستين درخمة، وذلك على الرغم من أن زينون قد أمر «بتوباستس» أن يعطيه مائة درخمة، وعلى ذلك فإنه ترك هذا المبلغ في «أهناسيا المدينة» حتى لا يتوقف العمل في المصنع، هذا ويدل على عدد الرجال الذين أرسلوا إلى فيلادلفيا، وكذلك مبلغ المائة والستين درخمة هذا، بالإضافة إلى أن «نيئسيس» كان له مصالح في المدينتين السابقتين، على أنه كان صانعاً ميسور الحال نسبياً.^{١٢}

ولا بد أن هذه كانت كذلك حال «حوروس» النقراشي الذي كما نعلم^{١٣} قد تعهد بتوريد كل الفخار اللازم للمركز لمدة سنة، ويتلخص هذا الموضوع في أن «دماس» Demas أحد أصدقاء «زينون» قد جعل نفسه ضامناً لصانع الفخار «حوروس» الذي تعهد بتوريد الفخار خلال السنة الرابعة من حكم الملك «أيرجيتيس» للمركز الذي كان ذات يوم يؤلف ضيعة «أبولونيوس» ولما أخفق «حوروس» في الوفاء بما جاء في العقد أصبح «دماس» مسئولاً عن دفع العجز إلى بيون Bion وقد كان العجز ٢٧٠٠ جرة وقيمتها ٢٧٠ درخمة (هذا المتن يشير إلى حكم الملك بطليموس الثالث) ومن الممكن أن نفرض أن «بائسيس» الذي كان يشتغل وحده مع أولاده وهو الذي طلب إليه بتيكاميس (P.C.Z. 59500) ليكون مساعده يعتبر من طبقة أقل بين صناع الفخار، ولكن هؤلاء هم الصناع الميسورون الذين نصادفهم في كل المتون تقريباً، وليس في ذلك ما يدعو إلى الدهشة؛ فهم الذين يكثر القول والذين يشكون كثيراً من زملائهم ونحن لا زلنا نشعر في أيامنا بهذا الجو المليء بالمنافسة والحسد الذي كان لا بد أن يسود في المصانع.^{١٤}

هذا ونصادف كذلك أصحاب جِرَف آخرين في سجلات «زينون» ولكن بقلّة، ويمكن أن يفرض الإنسان أنهم كانوا في معظم الأحيان يعملون بمرتببات في ضيعة «أبولونيوس»، غير أننا لا نعلم عنهم شيئاً على وجه التأكيد، وعلى ذلك سنكتفي هنا بالإشارة إلى

^{١١} راجع: P. Col. Z. 52.

^{١٢} راجع: P.C.Z. 59271, 59427, 59471, 59742 11.8 & 26.

^{١٣} راجع: P.C.Z. 59366.

^{١٤} راجع: P.C.Z. 59481; PSI 420.

بعضهم فنجد من بينهم أموتس الصَّبَاغ،^{١٥} وهوروس سائق العربة، (P.C.Z. 59176, 1, 352) ونختيوس النَخَال، والخبار بتارموتيس (P.C.Z. 59206) وتارس وصانع السجاجيد وصانع الحبال، والنجار والنَّسَّاج والمبيض ... إلخ.^{١٦}

ولدينا مجموعة أخرى من أصحاب الحرف وبخاصة حرفة صيد السمك، فنقرأ في بردية^{١٧} عن جماعة من صيادي السمك يظهر أنهم كانوا ملاك قارب صيد، وكانوا مشغولين بالصيد ويؤجرون أنفسهم في ضيعة «أبولونيوس».

والواقع أن المصريين كانوا بوجه عام متعودين على الماء، هذا إذا كنا نفهم بهذه العبارة النيل وترعه، أما البحر فكان على الأرجح غريباً عليهم، وهذه الحالة ينعكس ضوءها في الأوراق البردية؛ حيث نجد جمًّا غفيراً من قواد السفن على النهر، ولكن عندما يكون الموضوع خاصاً بالملاحة البحرية فإنهم كانوا مجرد بحّارة معتادين فلا يتحدث أحد عنهم،^{١٨} وكان ضباط السفن في أغلب الأحيان يتقاضون مرتبات من «أبولونيوس» أو من «زينون» الذي كان يقود سفن الوزير، وكان هنأ ضباط آخرون مشغولون على ما يظهر بالأجر عند زينون هم وسفنهم،^{١٩} ووظيفة رُبان السفينة كانت تحتاج إلى رجال أذكىاء يُوثق فيهم؛ إذ لم يكن يوكل إليهم أمر قيادة السفينة وحسب، بل كذلك قيادة البحارة الذين يكونون تحت إمرتهم، وعلى ذلك فإنه ليس من المدهش أن نجدهم قد ذكروا في العقود بدرجة ملحوظة بوصفهم ضامين.^{٢٠}

وهذه المسؤولية كانت تضع أحياناً قواد السفن في مراكز حرجة؛ مثال ذلك ما حدث لرجل يُدعى «فامونيس» Phamounis الذي شكّا في رسالة بعث بها إلى «زينون»^{٢١} فيقول له فيها إنه كان مضطراً لبيع قميصه ليدفع أجور العمال، وذلك لأنه لم يكن قد تسلم النقود التي كان مفروضاً أن يرسلها إليه «زينون»، ومن الجائز أن المقصود هنا بالعمال

^{١٥} راجع: 1.22 P.C.Z. 59326 bis PSI 420. P.C.Z. 59481.

^{١٦} راجع: P. 244 Vol. VII-VIII (1953-54) The Journal of Juristic Papyrology.

^{١٧} راجع: P. Col. Zen. 71.

^{١٨} راجع: Rostov. H.W. P, 262.

^{١٩} راجع: P. 47 C. Preaux Les Grecs, P.C.Z. 59449, 59649.

^{٢٠} راجع: P.C.Z. 59172, 59745, 1.55, etc.

^{٢١} راجع: P. Col. Z. 44.

هم الذين كانوا يشتغلون في بناء القوارب وإصلاحها، وهم الذين لم يكونوا على ما يظهر يتمتعون بسمعة حسنة (P.C.Z. 59270).

ومما يطيب ذكره هنا أن كل الحرف التي ذكرناها فيما سبق كان أصحابها تحت إدارة «زينون» أي مستخدمين عند «أبولونيوس»، ومن الجائز أن هذه كانت الحالة العامة فيما يخص المصريين الذين جاء ذكرهم في سجلات «زينون»، وعلى أية حال فإنه من الصعب جداً في أحوال كثيرة بل من المستحيل أن نقرر هنا بصورة قاطعة إذا كان الفرد المعني تابعاً «لزينون» أو أنه كان مجرد مزارع أو صانع، ومما لا ريب فيه أن الموقف يصبح أكثر تعقيداً عندما نريد أن نحدد بصورة قاطعة لا لبس فيها ولا إبهام العلاقات التي كانت بين بعض المؤجرين وأصحاب الضيعة، أو إذا كانت هذه العلاقات لا تشمل في بعض الحالات التزامات أخرى خلافاً لدفع الأجر، هذا ولدينا عقبة أخرى وهي أنه على الرغم من بحوث عدة علماء،^{٢٢} فإنه ليس في استطاعتنا أن نحدد بصورة جلية الموقف الرسمي الذي كان يقفه «زينون» من بلدة «فيلادلفيا»، ومن ثم أصبح من المستحيل أحياناً أن نقرر بصورة قاطعة العلاقات التي كانت بين بعض المصريين وبين زينون، ومع ذلك فإنه يمكن أن نفرق بين بعض طوائف العمال والموظفين في ضيعة «أبولونيوس» التي كان يديرها زينون؛ أولاً يجب أن يُلاحظ وجود طائفة الفلاحين الكادحين وهم الذين كانوا يزرعون إقطاعاتهم الصغيرة من الأرض في ضيعة «أبولونيوس»، وقد كانوا في الوقت نفسه مرءوسين وعملاء مزارعين «لزينون» على ما يظهر، ونذكر منهم «أموليس»، أو «أميليس» Amyles Or Amoles و«لابوس» أو «ليوبس» Labos Or Labois و«أونوفريس» وابنه «حورورس» وبايس.^{٢٣}

البستانيون

ويطيب لنا أن نذكر هنا على حدة العمال المصريين الذين كانوا يعملون في الحدائق والكروم في «فيلادلفيا»، ومما يلفت النظر أن الوظائف الهامة هنا كان يشغلها أجانب فقد كانت الحاجة ماسة للإخصائين الذين لم يكن في الاستطاعة الحصول عليهم من بين

^{٢٢} راجع: Preaux E.R. P. 19, No. 5, 5.

^{٢٣} راجع: P.C.Z. 59167.

المواطنين المصريين،^{٢٤} فمن هؤلاء البستانيون «ستوتوتيس» Stotoetis، «نختوزيريس» Nechthosiris و«بتموتيس» Petimouthes الذي كان يشتغل مع أولاده و«بتوريس» و«أنوفريس» ابن أفتيوس Ephtheus وهم الذين كان يطلق عليهم زراع كروم، وأخيراً بايس Paies الذي يحمل لقب رئيس البستانيين (P. Mich. Z. 45, 11, 21-22). هذا وكان يشتغل في زراعة الكروم أرانوس وعدد وفير من المصريين.^{٢٥}

وهناك مصريون آخرون من عمال «زينون» كانوا يشتغلون بالمشاركة، ونذكر من بين هؤلاء أولاً أمورتايس أو «أمورتايس» Amortais الذي كان يعمل بالشرك في قطعان ماعز ويعتني بتكاثرها، ونذكر كذلك «فامونيس» Phamounis الذي كان على ما يظهر يشترك في تربية عجول وما أشبه اليوم بالبارحة،^{٢٦} ومع ذلك فإنه كما سبق ذكره كانت وظائف المديرين والمشرفين على الشرك يشغلها إغريق في معظم الأحيان.

وقد ذكرنا عند التحدث عن أعمال البناء العامة التي قامت في «فيلادلفيا» اسمي «بتوزريس» و«حوروس» ويجب أن نعيد الكثرة للتحدث عنها هنا؛ فقد كان «حوروس» على ما يظهر يدير أعمالاً من قبل الضيعة، وقد وقع خلاف بينه وبين المهندس الإغريقي «هديلوس» Hedylos بسبب ذلك،^{٢٧} أما «بتزيريس» فكان في أغلب الأحيان يقوم بأمر صرف مرتبات ضاربي الطوب وغيرهم من العمال الذين يقومون بنصيب في هذه الأعمال. وفي متون أخرى نجد وكلاء لزينون مثل «بكيذيس» pekysis و«سارانيس» Saranis و«سيسنوكوس» Sisenkos وهؤلاء لم يكن من المستطاع الوقوف على حقيقة وظائفهم من المتون التي جاء ذكرهم فيها.^{٢٨} هذا ولا نجد إلا إغريقياً في خدمة «أبولونيوس» الشخصية وفي حاشية «زينون» المقربة إليه جداً، والظاهر أن البائس «يتاكوس» الزمار،^{٢٩} الذي كان يتضرع «لزينون» ليطلق سراحه كان يعد أمراً شاذاً على ما يظهر، أو في هذه الحالة هل

^{٢٤} راجع: Peremans, V. E. P. 21.

^{٢٥} راجع: The Journal of Juristic Papyrology, ibid. P. 248.

^{٢٦} لا تزال طريقة المشاركة في الأطيان وفي الحيوان سائدة في كل أنحاء القطر حتى يومنا هذا. P.C.Z. 59328, 59429, 59771 11.14; P. C. Z 59744 1.15, 59787 1.32; PSI 361, 368 1.15;

P. Mich. Zen. 119 1.25

^{٢٧} راجع: P.C.Z. 59531

^{٢٨} راجع: P.C.Z. 59218 1.16, 59315, 59316, PSI. 387 (?) 857

^{٢٩} راجع: PSI. 416

نفهم أن هذا الرجل كان من الطبقة السفلى من خدام «زينون» وهي الطبقة التي لا يظهر ممثلوها في المتون التي نتحدث عنها؟ والواقع أنه في كل طبقة من مرءوسي «زينون» نجد إغريقيين ومصريين جنباً لجنب، ولكن يُلحظ أن الإغريق كانوا دائماً يشغلون أعلى الوظائف من بين أتباعه.

ومما يجب التنويه عنه هنا أن العمال الذين كانوا يعملون في ضيعة «أبولونيوس» كانوا يتقاضون مرتباً إضافياً بمثابة بدل ملابس، وكان هذا المرتب يصل أحياناً إلى أربع عشرة درخمة سنوياً، وكان مجموع المرتب وفريضة القمح يختلفان على حسب مرتبة الموظف،^{٢٠} غير أن هذا المرتب كان دائماً على وجه التقريب يُدفع متأخراً، وقد كان ذلك هو الهم الدائم لكل أولئك العمال.^{٢١}

وكان بعض الموظفين في الضيعة يُمنحون كذلك مساكن على حساب الإدارة،^{٢٢} وفي بعض الحالات كان مرءوسو «زينون» يشغلون أعمال موظف الحكومة على ما يظهر، وليس في هذا ما يدعو إلى الدهشة إذا فكر الإنسان في الدور والمكانة اللذين كان يشغلهما «زينون» في «فيلادفيا».

والموظفون المصريون الذين نصادفهم في أوراق وسجلات زينون ليسوا كثيرين، ونعرف من بينهم أربعة.^{٢٣}

أما أحوال معيشة الموظف المصري فكانت دون شك منوعة جداً، فكان الكثير منهم يعملون مزارعين للملك، أو عمالاً في ضيعة «أبولونيوس» بوصفهم من مستخدمى «زينون»، وعلى الرغم من ذلك فقد كان اليأس حليفاً لهم كما نشاهد ذلك في إحدى الوثائق،^{٢٤} وذلك أنه من الصعب أن تتصور عمدة قرية لا يتورع عن سرقة خنزير إلا إذا كان في حاجة ملحة من الفقر اللانع دفعته إلى ارتكاب مثل هذه الجريمة.

^{٢٠} راجع: Westermann Zen Papyri, Vol. I, P. 80 (ad. P, Col. Zen. 31).

^{٢١} راجع: P.C.Z. 59489; PSI, 421, 488, 611, 638; P. Mich. Zen. 89.

^{٢٢} راجع: Westermann Ibid. Vol. II, P. 42, introd. to P. Col. Zen 75.

^{٢٣} راجع: The Journal of Juristic Papyrology, Ibid. P. 249.

^{٢٤} راجع: P.C.Z. 59379.

رجال الشرطة

يوجد في الصفوف السفلى من رجال الشرطة أعراب جنبًا لجنب مع المصريين،^١ وهم الذين يقابلهم في أيامنا الخفراء وكانوا يُعرفون باسم حَمَلَة العِصِيّ، وهؤلاء كانوا يعاملون باحتقار حتى من العبيد،^٢ ومن بين رجال الشرطة المصريين نذكر «حوروس» وكان يعمل في «فيلادلفيا» في السنة السابعة من عهد «أيرجيتيس» بوصفه حارسًا و«باتيس» Patis والظاهر أنه كان يشغل هذه الوظيفة قبل هذا التاريخ بخمسة عشر عامًا.^٣

هذا ونعرف كذلك اسمي اثنين من القواد المحليين وهما «حوروس» وهو مواطن «فيومي» والآخر هو «حاربيتريس» ويصادفنا في هذا الصدد متن غاية في الأهمية،^٤ نقرأ فيه أن رجال الشرطة حراس السدود كانوا يهددون «زينون» بالتخلي عن العمل إذا لم يدفع لهم مرتباتهم، ومن جهة أخرى نقرأ عن مخالفات ارتكبتها موظفون نظاميون،^٥ فقد شكى «باتيس» Patymis لزينون أنه حُبس ظلمًا على يد «باتيس» ويُحتمل أنه شرطي، وقد ذكر في شكواه الجاني الحقيقي، فيقول إن «باتيس» قد حماهم لأنه اقتسم معهم الغنيمة، ولكن في هذه الحالة يتعذر معرفة المذنب الحقيقي كما يحدث في أحوال كثيرة.

^١ راجع: P.C.Z. 59230, 59296, 59745.

^٢ راجع: P.C.Z. 59080.

^٣ راجع: P.C.Z. 59172, 1.23, 59491.

^٤ راجع: PSI 42.

^٥ راجع: P.C.Z. 59491.

وكان جنود ماشيموي^٦ الذين نجدهم مذكورين في سجلات زينون يقومون أحياناً بوظيفة الشرطي (P. Lille 58) فنعرف أنهم كانوا يتسلمون القمح والشوفان، وفي بردية من «الحيبة»^٧ يظهر أن طائفة هؤلاء الجنود كانوا يؤلفون فرقة كانت الإدارة تستعملهم في زمن الحصاد، ولكن في الواقع نجد أن الحديث في أغلب الأحيان يكون عن جنود الماشيموي على انفراد، والواقع أن لدينا مثلين معروفين تماماً^٨، وهما يقصان علينا قصة فرد يُدعى «باريس» كان يسعى في الخلاص من التجنيد، وقد ساعده في محاولته هذه موظف إغريقي، وتدل الظواهر على أن مركز هذا الصنف من الجنود لم يكن مريحاً في تلك الفترة، وذلك على الرغم من أن بعضهم كان له ملكيات صغيرة؛ مثال ذلك «سوكوس» Sokeus ابن «نخايس» Nechavis^٩ فقد كان يملك بيتاً في قرية «أوريس» Aueris^{١٠}.

^٦ راجع عن هؤلاء الجنود مصر القديمة الجزء ٩ والجزء ١٢.

^٧ راجع: P. Hib. 44.

^٨ راجع: P. Mich. Z. 82. P.C.Z. 59590.

^٩ راجع: P. Rylands 563.

^{١٠} راجع عن هذا الصنف من الجنود في عهد البطالمة الأول PSI. 642.

الكهنة

كان الكهنة كما هو معروف يؤلفون طائفة منفصلة في المجتمع المصري ونقرأ عنهم كثيراً في سجلات «زينون»، غير أننا لا نجد مذكوراً فيها إلا الكهنة الذين من الطبقة الدنيا، وذلك باستثناء رئيس الكهنة «بتوزيرس» الذي جاء ذكره في متن واحد^١ والواقع أننا لا نعرف شيئاً عنه إلا رسالة أرسلها له «زينون»، أما عن كهنة الطبقة الدنيا في سجلات زينون فنقرأ مثلاً أن زينون كتب لموظف آخر عن كاهن الآلهة «توريس» صاحبة «فيلادفيا»، وكان يستحق مرتباً قدره اثنتي عشرة درخمة في السنة من كاهن «توريس» في مكان آخر لم يُعَيَّن^٢، وفي وثيقة أخرى (PSI. 539) نقرأ أن فيمناس Phemennas كاهن الإله «سيرابيس» والإلهة «إزيس» يطلب مساعدة «زينون» ليعفيه من استيلاء ظالم على نبيذه، وكذلك نقرأ في وثيقة أخرى^٣ عن موضوع خاص بكاهن الإله هركيل يسمى «تائس» Taes^٤، ثم نجد بعد ذلك جمهرة من الكهنة العاديين خدام المعابد من مربى القلط وصغار الكهنة.^٥

^١ Wilchen Grundzuge, p. 382.

^٢ راجع: P.C.Z. 59308.

^٣ راجع: P. Hamb. 117.

^٤ راجع عن موضوع الآلهة المصريين الذين تسموا بأسماء إغريقية: W. Otto, Priester und Tempel im hellenistischen Aegypten, Vol. II. P. 167 ff; C. Preaux Les Grecs, P. 7 ff U. Wilcken Grundzuge, P. 107 ff.

^٥ راجع: P.C.Z. 59270.

ومما هو جدير بالذكر أن المتون الخاصة بالكهنة في سجلات زينون تشير فقط إلى الطبقة الدنيا من الكهنة المصريين، ومن ثم لا يمكننا أن نضع صورة كاملة عن مستوى معيشة الكاهن هنا، والواقع أنه كانت توجد فروق هائلة، ولكن وثائق سجلات زينون لا تحدثنا إلا قليلاً في هذا الصدد، وعلى أية حال نجد فيها نداء لكرم زينون الذي طلب إليه التدخل لصالح معبد الآلهة «عشتارت» ربة «منف»^٦، هذا ونعلم من وثيقة أخرى^٧ أن كاهنا يُدعى «حوروس» قد تسلم من «أبولونيوس» قطعة أرض مساحتها خمسة أرورات، (P. Hamb. 117) وفي أخرى نقرأ أن «تائس» كاهن «هركيل» تسلم جارية من القمح، ومما يؤسف له أننا لا نجد شيئاً يُذكر عن موضوع الدخل العادي للكهنة في سجلات «زينون»، إلا ما جاء في وثيقة واحدة، (P. Mich. Z. 9) حيث نقرأ أن مواطناً من بلدة زيغيريون Zephyrion القريبة من «الإسكندرية» ويُدعى «أسكليباس» Asklep Lades قد اشترى وظيفة كاهن (خادم الإله) بمبلغ خمسمائة درخمة في معبد «منيلايس» Menelaïs، وتحدثنا بردية^٨ عن كاهن كان يبيع خشب الجميز الذي كان يؤتى به إلى المعبد.

والظاهر أن علاقات «زينون» مع الكهنة المصريين وبخاصة كهنة الطبقة الدنيا كانت مريحة له، فنعلم من وثيقة^٩ أن البقرات التي كان يملكها «باتيميس» Patymis اسماً وهي التي كانت ملك «إزيس» و«أوزير» قد استغلها في الواقع «زينون»، ولا غرابة فقد ساعد في مقابل ذلك «باتيميس» فعلاً عندما كان في ضائقة، هذا ونجد في نفس هذه الوثيقة السالفة الذكر أن «باتيميس» قد استعان من جديد «بزينون» طالباً المساعدة وقد وعده في مقابل ذلك أن يهديه بقرة إن هو لم يتخلل عن مساعدته.

وإذا كان «باتيميس» على الرغم من ذلك قد حُبس، فإن «فيمناس» كاهن «سيرابيس» و«إزيس» قد تظلم كما سبق ذكره من مصاعب مالية، وذلك لأن موظفاً غيوراً قد صادر نبيذه، ومع ذلك فإنه لم يسبب له أية مضايقة مع أي إنسان، بل كان في مقدوره أن يقدم القربان في سلام لصحة الملك، هذا وكانت مخالفات موظف آخر موضع شكوى وُجِهت

^٦ راجع: P. Col. Zen. 107.

^٧ راجع: P. Mich. Z. 31 (1.8).

^٨ راجع: P. Rylands. 569.

^٩ راجع: P.C.Z. 59270.

إلى «زينون» من كهنة مربي القلط في «بوسطة»،^{١٠} فقد شكوا من أنهم يُسَخَّرُونَ في الحصاد، وأن الموظف الإغريقي يحمي ضاربي الطوب الإخصائين وذلك في مقابل منفعة شخصية له، ومن ثم نرى أن حالة صغار الكهنة لم تكن تختلف كثيراً عن حالة السواد الأعظم من السكان المصريين،^{١١} وبوجه عام نلاحظ أن المصريين الذين نصادفهم في سجلات «زينون» كانوا إما تابعين للإدارة الإغريقية للبلاد أو تابعين لإدارة الضيعة، ولم تكن هذه التبعية تفسر فقط رسمياً بدفع ما يجب دفعه من ضرائب، وسخرة وجمع المأكولات لصالح الملك وموظفيه، وذلك بحجة أن كل المصريين كانوا مزارعين ملكيين ومن دافعي الضرائب ومن الذين تحت سيطرة الدخل الملكي.

ولكن كانت هناك فضلاً عن ذلك تبعية اقتصادية لأولئك الذين كانوا من بينهم من يشتغلون لحسابهم الخاص على ما يظهر، ويكفي أن نذكر هنا على سبيل المثال حالة مربي الخنازير والماعز في «فيلادلفيا»، فالواقع أن الإغريقي هو الذي كان يدفع المرتب والذي يسلف النقود أو الغلال لهؤلاء الإنسان مصريين من أصحاب الملكيات الصغيرة فإنه من المحتمل أنهم كانوا في الوقت نفسه من فلاحي الملك أو كانوا بصورة أخرى تابعين للإدارة الإغريقية، ومن المحتمل أن هذه أميز ظاهرة لهذا المجتمع المصري كما نفهمه من بين سطور سجلات «زينون»، وذلك لأننا لو وجدنا إغريقياً في مثل هذا الوضع فإنه يوجد الكثير من بينهم من هم من الوجهة الاقتصادية مستقلون، ويمكن أن نضع موازنة بين أحوال الحياة اليومية التي كان يعيشها الإغريق والتي كان يحيها المصري فنجد بعد الدرس أن العامل الزراعي كان يتقاضى مرتباً قدره خمس درخمتين شهرياً وإردياً واحداً من القمح، وقد كان هذا هو المعدل العادي، وهذا المرتب يمكن أن يضمن تعييناً من القمح لستة أشخاص على الأقل وهذا قليل جداً، وعلى العكس من ذلك نجد الجندي المرتزق صاحب الإقطاع من الأرض الذي كانت تبلغ مساحة إقطاعه مائة أرورا فقد كان عند تأجير إقطاعه يحصل منه على أربعة أو خمسة أراب كل عام، وهذا ما يعادل ما بين أربع مائة وخمسمائة درخمة، وهذا ما يكفي لمعيشة ثلاثين شخصاً على الأقل، وبموازنة هاتين الحالتين يمكننا تقدير قوة الإغريق الذين مُنحوا إقطاعات من الأرض كما يمكننا من أن نقيس الفرق الذي يفصل في الأرياف بين المصريين المُعوزين وبين الإغريق الأغنياء

^{١٠} راجع: P.C.Z. 59451.

^{١١} راجع: W. Otto, Priester und Tempel im hellenischen Aegypten, Vol. I. P. 7 ff;

أصحاب الإقطاع،^{١٢} وهذا الفرق هو الظاهرة الثانية المميزة للمجتمع المصري، وهاتان الظاهرتان اللتان يقسّم بهما المجتمع المصري الأصيل يمكن أن نفهمهما مما جاء في وثيقة من سجلات زينون محفوظة الآن في مشيجان،^{١٣} وهي موجهة إلى «زينون» على ما يُظن.

والواقع أنه عند تحليل وثائق سجلات «زينون» نرى من جهة أن السواد الأعظم من الشعب كان فقيراً ويتألم من شدة الفاقة، والأغلبية منهم كانوا مصريين، ومن جهة أخرى نجد أن الموظفين والجنود المرتزقة ورجال البلاط والأفراد الأحرار أصحاب المشاريع المثابرين كانوا يجمعون الثراء بسرعة، وكلهم على وجه التقريب من الإغريق، وحتى في وسط الطبقة المتوسطة التي نجد فيها خليطاً من القوميات نلاحظ أن الإغريق بوجه عام هم الأكثر ثروة والأكثر استقلالاً، وعلى ذلك يمكن أن نوازن بين الإغريقي والمصري لا من حيث القوميات المختلفة وحسب، بل كذلك — وهذا على ما يُحتمل بحق — من حيث الغنى والفقر، بل وأفضل من ذلك من حيث الضعف والقوة، ومع ذلك — وهذا تقييد لا بد أن نضعه نصب أعيننا — إذا كان الإغريق بوجه عام هم الأكثر ثراء من المصريين، وإذا كانت حالتهم في معظم الأحوال أحسن، فإننا مع ذلك نصادف أحياناً من منهم في أسفل درك من السلم الاجتماعي؛ وإليك مثال لذلك، ففي وثيقة (P.C.Z. 59477) نقرأ أن «نيكولوس» رجا «زينون» أن يقرضه أربع عشرة درخمة حتى لا يصبح خاوي الوفاض بادي الإنفاض، وفي وثيقة أخرى،^{١٤} نقرأ أن «نيكياس» الذي يحتمل أن يكون مواطناً من نفس بلدة «زينون» قد استحلفه بصحة والده وابنه الصغير «إفارمستوس» Epharmostos أن يمد إليه يد المساعدة، ومتن هذه الوثيقة مهتم، غير أن نهايته تعبر تعبيراً صادقاً عن حالة الرجل؛ إذ يقول سيؤل أمري إلى الدمار لأنني أصبحت عارياً كالهارب، وكذلك نقرأ أن فرداً يدعى «بيرون» (PSI. 418) قد تضرع «لزينون» في أن يخلع عليه عباءة قديمة أو إذا كان يرى أن العبء عالية أكثر من اللازم فليعطه شيئاً آخر أقل قيمة، ولدينا رسالة كتبها «نيكون»^{١٥} أرسلها إلى «زينون» يطلب فيها مساعدة مالية لأنه أصبح مُعَوِّزاً فيقول إذا

^{١٢} راجع: C. Preaux Les Grecs, P. 64

^{١٣} راجع: P. Mich. Zen. 90

^{١٤} راجع: P.C.Z. 59474

^{١٥} راجع: P.C.Z. 59160

لم نتسلم شيئاً منك فإننا سنتصور جوعاً، وعلى أية حال قد يكون من الحزم ألا نأخذ ما جاء في هذه الشكاوى حرفياً، وذلك لأنه يُشْتَمُّ فيها رائحة المبالغة المفتعلة، ومن ذلك فإن عدد هذه الشكاوى من كل صنف معبرٌ بنفسه، ولدينا رسالة من «زويلوس»،^{١٦} كتبها إلى «زينون» يخبره بمرض فرد يُدعى «فيليسكوس» Philiskos وبمتاعبه، وقد رجا «زينون» أن يرسل إليه نقوداً، في رسالة أخرى من فرد يُدعى «مناسيستراتوس» Mnasistratos وكان مريضاً وقد كتب يطلب مساعدة «زينون»،^{١٧} وكتب إليه رسام يُدعى «تيفيلوس» theaphilos يرجوه في أن يحصل له على عمل وإذا لم يتيسر ذلك فيعطيه شيئاً ليعود إلى الإسكندرية عند أخيه، والظاهر مما سبق أنه يمكننا أن نحكم بأن نعمة التراخي التي كان يكتبها الفقراء الإغريق كانت بوجه عام أقل حطة وتذلاً من التي كان يكتبها المصريون، ومع ذلك نجد في هذه التضرعات كذلك أحياناً جُملاً تدل على منتهى الملل والذلة كما جاء في التظلم الذي أرسله «ديونيسوس» إلى «زينون» إذ نجده يرمي نفسه بين يدي رحمة «زينون» معتبراً إياه بأنه مثل «أبولونيوس» وقد أعلن أنه مستعد لقبول حكمه، وذلك بعد أن احتج على القبض عليه بسبب أنه غش في الكيل على ما يُظنُّ وكانت حرفته كَيْلاً،^{١٨} ويقول في ذلك حرفياً: «إني أرجوك وأتوسل إليك وأستحلفك باسم آلهة وطنك وبصحة «أبولونيوس» ألا تتغاضى عني وألا تعاملني معاملة سيئة.»

هذا وقد رأينا فيما سبق أن مراتب المصريين الذين كانوا في خدمة «أبولونيوس» كانت في معظم الأحيان يؤخر دفعها، وقد كانت هذه هي الحال كذلك مع الموظفين الإغريق، ولدينا شكايات عدة وتظلمات في هذا الصدد، ونقرأ غالباً رسائل خاصة بمخالفات ارتكبتها الإدارة في حق السكان الإغريق،^{١٩} وكذلك نجد شكايات ضد رجال الشرطة.^{٢٠} وكان الجزء الأعظم من الطبقة السفلى من المجتمع المصري مؤلفاً من المصريين الفُح، أما الإغريق فكانوا نسبياً قلة، هذا ونجد كثيراً من العرب والسوريين واليهود والبدو أيضاً،^{٢١} والظاهر أننا نجد بوجه عام كانت حالة الرجل الفقير سواء أكان مصرياً أم

^{١٦} راجع: P.C.Z. 59435.

^{١٧} راجع: P. Col. Z. 10.

^{١٨} راجع: P.C.Z. 59421.

^{١٩} راجع: P.C.Z. 59322, 59343; USI. 301, 591.

^{٢٠} راجع: P. Rylands 570.

^{٢١} راجع: Peremans V. E. P, 86 ff.

إغريقياً أم سورياً أم عربياً أم من أي قومية كانت تقريباً واحدة، كما لاحظ ذلك «برمانز» بقوله إن الأعمال كانت تحتل الصدارة، وفي معظم الحالات كانت القومية قليلة الأهمية،^{٢٢} وعلى أية حال فإنه عندما يكون الموضوع خاصاً بهذه الطبقة من الناس نجد أن الرجال الذين من قوميات مختلفة يمارسون أحياناً نفس المهنة ويشتغلون سويّاً جنباً لجنب، ففي وثيقة^{٢٣} نجد أن كلاً من «فاريتيس» Phareitis و«ديونيسيوس» يدفع بالاشتراك مع رفيقه إيجار مؤسسة حمام، وفي وثيقة أخرى^{٢٤} يدور الموضوع حول سائسين لفرد يُدعى «هيجيزيلاوس» Hegesilaos أحدهما يُدعى «حوروس» والآخر يُدعى «أبولونيوس» وهما يعملان سويّاً، والأول مصري والآخر إغريقي، ولدينا وثيقة^{٢٥} ذكر فيها خمسة مساعدي محاجر، وكلهم يحملون أسماء إغريقية إلا واحداً كان يحمل اسماً مصرياً وهو «حوروس»، وفي نفس الوثيقة جاء ذكر حوزيين وهما حوريس وأمينتاس، وفي وثيقة أخرى^{٢٦} نجد أن تيوفيلوس وبنوريس يشتغلان معاً في بستان، وفي بريدية بالقاهرة (P.C.Z 59752) نصادف فرداً يُدعى ديديماركوس يشتغل في كُرم بجانب كل من ميزيس وحوروس، وفي بريدية أخرى بالقاهرة كذلك^{٢٧} نجد صناع فخار يعملون معاً وأسمائهم هي «بأسيس» و«تفوريتيس» و«هريسوس» و«ليزيماكوس».

والظاهر أنه لأجل أن يرسم الإنسان صورة للمجتمع المصري على حسب ما جاء في سجلات زينون لنصل منها إلى حياته الخاصة وكذلك للوصول إلى مدى تأثيره بالإغريق المقدونيين وإدارتهم فكان لا بد أحياناً من أن يُحسب حساب المتون التي تتحدث عن غير المصريين.

^{٢٢} راجع: Peremans V. E. P. 158.

^{٢٣} راجع: P. Col. 2, 57.

^{٢٤} راجع: PSI. 371 (I.11).

^{٢٥} راجع: P.C.Z. 59176 II. 114-115.

^{٢٦} راجع: PSI. 366.

^{٢٧} راجع: J. Kaerst, Geschichte des Hellenistischen Zeitalters, B. II, 1.

الأسرة المصرية

لم تقدم لنا سجلات «زينون» إلا معلومات قليلة من حياة الأسرة المصرية، ومع ذلك يمكن أن نذكر على الرغم من كل شيء بعض ملاحظات لها قيمتها. والواقع أنه من السهل أن نلاحظ أنه غالبًا ما يكون أفراد الأسرة يعملون معًا، ويمارس أفرادها حرفة واحدة وهذه الحرفة قد تنتقل في حالات كثيرة من الأب للابن،^١ ففي إحدى الوثائق^٢ نقرأ عن قاطعي أحجار وهما «حوروس» بن «باسيس» Pasis و«باسيس» بن «حوروس» ومن المحتمل إذن أنهما الأب والابن، وفي وثيقة أخرى^٣ نجد أن «بائيسيس» Paesis صانع الفخار يشتغل مع ابنه، وفي وثيقة^٤ نعرف أن «بانيس» Panes وابنه كانا يعملان في كرم ويتسلمان نقودًا، وتحدثنا وثيقة رابعة^٥ عن بستانيين وهم «بتموتيس» وأولاده الذين كانوا يشتغلون على ما يُظنُّ في حديقتهم حيث كانوا يقومون بعملهم فيها، وكذلك نجد أن «بتوباستيس» الذي كان يطلب مرتبه^٦ يشتغل مع أولاده في تربية الحمام، وفي وثيقة أخرى نقرأ أن «حوروس» وأولاده قد أُجروا خلايا نحل، كما نجد أن الأرملة «تامويس» Thamoys تمارس نفس المهنة السابقة، ومن المحتمل أنها قد ورثتها عن

^١ راجع: P.C.Z. 59481. Halfte

^٢ راجع: P.C.Z. 59745

^٣ راجع: P.C.Z. 59500

^٤ راجع: P.C.Z. 59827

^٥ راجع: P. Mich. Z. 45

^٦ راجع: C. Z. 59498

زوجها هي وأولادها،^٧ وأحياناً نجد أن إخوة يشتهلون سويًا كما هي الحال مع «إتفوس» Etpheus وأخويه،^٨ وهم الذين نقرأ أنهم كانوا يتعاقدون مع «زينون» في موضوع عزق أرض وعمارتها، أو كما نشاهد في وثيقة أخرى رجلًا يدعى «نيمسيس» Neemsesis وأخاه «سامويس» Samoys وهما من قرية «كرك» Kerke يتسلمان شعيرًا،^٩ ونعلم من وثيقة أخرى (PSI. 422) أن الأسرات التي نشاهد فيها أن أعضاءها من الأب للابن يمارسون حرفة واحدة يمكن أن يُوجد في أعضائها طموحًا واعتزازًا بوراثته حرفتهم، وقد كتب «بزنتائس» Psentaes إلى «زينون» في هذا الصدد^{١٠} فيقول ليس هناك شخص يعمل أحسن مني وبسرعة مثلي في مقاطعة «سايس» ووالدي هو أول رجل بين كل الناس هناك. وكانت الأبناء تعتني بشيخوخة آبائهم وهم الذين من جانبهم كانوا يعتمدون على مساعدة أولادهم، فنقرأ في متن^{١١} شكوى «باوزيس» Paosis والد «حوروس» أحد موظفي «أبولونيوس» أنه يعيد إلى ذاكرة «زينون» أن ابنه عند سفره وكل أمره إليه، وهو الآن يطلب إلى «زينون» مساعدته، وعلى العكس من ذلك نقرأ في وثيقة أخرى^{١٢} أن امرأة عجوزًا كانت تعمل وكيلة في محل بيع جعة، وكانت تتكل في كسب عيشها على ابنتها، ولما رأت أن الأخيرة قد هجرتها بسبب إغراء رجل قد هجر بدوره زوجها وابنه^{١٣} كتبت في ذلك تتضرع «لزينون» في أن يمد لها يد المساعدة، فنقول له إنني أسألك أن تأتي لمساعدتي بسبب شيخوختي وترد إليّ ابنتي.^{١٤}

والخلاصة أنه في كل المتون التي اقتبسناها عن الأسرة يمكن أن نلاحظ فيها شعور التضامن الذي تمتاز الأسرة المصرية به حتى ولو كان هذا الشعور ينحصر غالبًا في الفوائد المادية، وأحياناً نشاهد المرأة كذلك غالبًا بجانب زوجها، فمن وثيقة بالقاهرة^{١٥}

^٧ راجع: PSI. 532.

^٨ راجع: P.C.Z. 59182.

^٩ راجع: P.C.Z. 59292, 11. 382-3.

^{١٠} راجع: 1.30 & fall.

^{١١} راجع: C. Z. 59492.

^{١٢} راجع: P. Lond Inv. 2660.

^{١٣} راجع: Preaux (Chronique d'Egypte XIX. P. 288).

^{١٤} راجع: P. Lond. 2660.

^{١٥} راجع: P. C.Z. 59482.

نعلم أن «زينون» قد أمر بسجن زوجة رجل يُدعى «باتيوفيس» Pathiophis وهو مؤجر حمام، وكان «باتيوفيس» يتحدث في شكواه كأنه هو وزوجه مجرمان، وهذا يعد دليلاً على أنها على ما يظهر كانت تساعد في عمله، وذلك على الرغم من أنه في الجزء الأول من هذه الشكوى يظهر أنه هو الذي كان يشتغل في الحمام أثناء أن كانت هي ترعى شؤون أطفالها في البيت.

وإذا كان «باتيوفيس» هو المسئول عن العمل — وهذا على ما يظهر ليس فيه شك — فكيف يفسر بقاؤه حرّاً في حين أن زوجه كانت في غياهب السجن؟ ولدينا كذلك متن آخر^{١٦} تدل شواهد الأحوال على أنه يتحدث عن سجن امرأة وأخوي المجرم، ولكن ذلك لم يكن ليحدث إلا في حالة هرب المجرم، والظاهر أن الإدارة الإغريقية كانت تعامل الأسرة المصرية بوصفها وحدة لا تتجزأ وأن المسئولية كانت تقع على كل أعضائها، ولذلك نجد أن في حالة «باتيوفيس» قد فضل «زينون» على ما يُظن أن يسجن المرأة ويخلي سراح الزوج الذي كان العمل يحتاج إليه، وقد كان مثل هذه الحالة تحدث في عهد إسماعيل عند تقصير الأهلين في دفع الضرائب، وكذلك كانت تحدث عندما كان أحد أفراد الأسرة يفر بسبب جريمة حتى عهد قريب جداً، ونعرف فضلاً عن ذلك بعض وثائق من سجلات «زينون» ظهرت فيها المرأة المصرية، فمثلاً نعلم أن «أوافروس» O Aphrous ابنة «أناروس» قد جاء ذكرها بوصفها مقترضة^{١٧} ولا بد أنها كانت امرأة غنية حتى تؤتمن على قرض قدره ٢٨٤ درخمة، ومن جهة أخرى نعرف حالة الأرملة الفقيرة «سنخنسو» والمرأة «تامويس» التي تعمل مع أولادها، وقد جاء ذكرهما فيما سبق، يضاف إلى ذلك المرأة «أماموس» Amamos امرأة «بيروس» Pyrrhos التي كانت تتسلم الشعير لها ولابنتها على سبيل الإحسان وهي من نفس الطبقة الدنيا،^{١٨} وهذا المثل الأخير هام لسبب آخر وذلك أن «أماموس» المصرية كانت امرأة «بيروس» الإغريقي ويجب أن يُلاحظ هنا أن «بيروس» كان رجلاً متواضعاً وهو ينتمي إلى الطبقة السفلى من المجتمع الإغريقي، وعلى ذلك فإنه كان من المفهوم جداً أن نرى القوميات المختلفة تمتزج بسرعة كبيرة في حياة الأسرة التي تنتمي إلى أسفل طبقة في المجتمع، والمتن الذي نحن بصده يرجع

^{١٦} راجع: P.C.Z. 59209.

^{١٧} راجع: P. C. Z. 59529.

^{١٨} راجع: P.C.Z. 59292 (1.300).

عده إلى عام ٢٥٦ ق.م، وفي عام ٢٤٨-٢٤٧ ق.م نجد فعلاً أن أخوين أحدهما يسمى «هراكليس» وهو اسم إغريقي والآخر يُدعى «با أبيس» وهو اسم مصري،^{١٩} ومن ثم يظهر أن الاختلاف في جنسية الأسماء يدل على أنهما وُلدا من أبوين مختلفي الجنسية، وهذا ما يبرهن على أن أمثال هذا الزواج كان فعلاً موجوداً في مصر في السنين الأولى من العهد الهيلانستيكي،^{٢٠} هذا ونجد في حالة أخرى^{٢١} أن فرداً يُدعى «تيون» Theon وهو اسم إغريقي والديه هو «كوللوتس» Kollouthos وهو اسم مصري، وكذلك في وثيقة مؤرخة بعام ٢٤٦ ق.م^{٢٢} نقرأ أن «سيسوخوس» Sisouchos المصري يقدم لزينون ابنه «بطلمايوس» وهاتان الحالتان لهما أهمية مزدوجة، وذلك لأنه لتفسير القوميات المختلفة لهذه الأسماء يجب أن نفرض أن مصرياً قد تزوج من امرأة إغريقية، وهذا ما يظهر غريباً جداً في هذا العهد، ومن المحتمل أننا أمام ظاهرة أخرى وهي صيغ الأسرات المصرية القحة بصيغة هيلانستيكية، وقد بدأت هذه النزعة بتسمية أولادهم بأسماء إغريقية وبخاصة تلك الأسماء التي كانت عظيمة الانتشار مثل «ثيون» أو بأسماء شهيرة جداً ومحترمة في مصر؛ مثل اسم «بطلمايوس» ويجب أن نضيف إلى ذلك أن «سيسوخوس» كان أحد مرءوسي «زينون» أو «أبولونيوس» وأن علاقاته مع «زينون» كانت على ما يظهر علاقات ود ووصفاء، وهذا ما يدل على أنه كان يحتل مكانة اجتماعية رفيعة، وفي هذه الطائفة من المجتمع المصري كانت الصبغة الهيلانستيكية تنتشر بسرعة كبيرة، هذا وقد لاحظنا فيما سبق أن المجتمع المصري لم يكن بأية حال من الأحوال منسجماً؛ إذ كان يوجد فيه اختلافات كبيرة اجتماعية وأسباب عديدة للمشاحنات والأحقاد.

وعلى ذلك فإنه ليس بدهش أن نسمع عن خلافات خطيرة قد وقعت حتى بين المصريين أنفسهم، فمن ذلك أن «بزنموس» Psenemous نقض على «زينون» الشجار الذي وقع بين سكان «فيلادلفيا» وبين المؤجرين الذين على حدود ضيعة «أبولونيوس»، هؤلاء المؤجرون كانوا قد حفروا آباراً للحصول على الماء، قد هاجمهم سكان «فيلادلفيا». ومن المعلوم أن الماء مادة ثمينة جداً في مصر، ولذلك فإنه ليس بالشيء الخارق لحد المؤلف في أن يكون الحصول عليه سبباً للنزاع، وهناك حوادث أخرى نتج عنها نزاع

^{١٩} راجع: PSI 384.

^{٢٠} راجع: W. Peremans V. E, 229.

^{٢١} راجع: P.C.Z. 59394 (1.34).

^{٢٢} راجع: P.C.Z. 59342.

فوجد مثلاً أن سكان قرية قد دافعوا عن مراعيهم على ما يظهر من تعدي رعاة زينون عليها،^{٢٣} وحتى إذا كان هذا الخلاف قد انقلب إلى شجار بين السكان المصريين والإدارة الإغريقية فإن الرعاة الذين هاجمهم سفلة القوم كانوا دون أي شك مصريين أو عرباً، ووجد كذلك أن المزارعين كانوا يشتكون من أنهم قد أعطوا مساكن أقل جودة من التي أُعطيت رفاقهم،^{٢٤} وفي هذه الحالة كذلك نجد أن الشكوى كانت موجهة أكثر ضد إدارة الضيعة، وذلك لأنها هي التي توزع المساكن.

والواقع أنه حتى إذا صادفنا حالات تعدد بين المصريين، أو إذا سمعنا عن عامل من أصحاب المرتب من المصريين قد هرب بعد أن سرق سيده المصري،^{٢٥} فإننا في معظم الحالات لا نجد في حقيقة الأمر إلا عراقاً قد وقع بين المواطنين الأصليين تدخلت فيه الإدارة الإغريقية لتزيد في خطر المنازعات التي كانت قد وقعت فعلاً، على أن ذلك كان لا يعني أن هذه الإدارة قد حرصت على هذه المنازعات بتدبير منها أو عن قصد، هذا وتدل الأحوال على أن شكاوى المصريين من الموظفين المصريين أنفسهم كانت عديدة، والظاهر أن مسألة القومية^{٢٦} كانت قليلة المفعول في العلاقات مع الإدارة؛ إذ نجد أن الموظفين المصريين كانوا ينحازون في معظم الأحيان إلى جانب رؤسائهم الإغريق، ومع ذلك فلا يغيب عن ذهننا أنه حتى من صبغة الوثائق التي نبعتها الآن نجد فيها بوجه خاص شكاوى واتهامات، وفي معظم الحالات نجد أن هذه الشكاوى الموجهة إلى زينون تكون تظلمات من موظفي الشرطة، وهذا يمكن تفسيره بسهولة^{٢٧} فنجد في وثيقة^{٢٨} أن «باتيميس» Patymis يُدعى «باتيس» شرطيٌّ في «فيلادلفيا»، وكذلك نقرأ في وثيقة أخرى^{٢٩} أن حارس خنازير يشكو من أنه قد سبَّت معاملته هو وزوجه على يد «بسوسناو» Psosnau، ومن المحتمل أن هذا الرجل هو الذي جاء ذكره في مصدر آخر بوصفه حارس المحصول،^{٣٠} والظاهر أن

^{٢٣} راجع: P. Lond. Inv. 2088, 150.

^{٢٤} راجع: PSI. 380.

^{٢٥} راجع: P.C.Z. 59410.

^{٢٦} راجع: P. Mich. Z. 98, PSI, 359.

^{٢٧} راجع: P.C.Z. 59491, P. Cot. Z. 103.

^{٢٨} راجع: P.C.Z. 59275.

^{٢٩} راجع: P.C.Z. 59275.

^{٣٠} راجع: P. Mich. Z. 73.

الموظفين الإداريين كانوا أحياناً يقومون بأعمال رجال الشرطة فمن ذلك «حوروس»^{٣١} الذي سجن «أخومنيس» Achmneuis أحد أتباع «زينون» بسبب ضريبة الملح، وفي وثيقة أخرى^{٣٢} نجد أن ضاربي طوب وهما «هرمايس» و«تيوس» Teos قد طلبا إلى «زينون» حمايتهما من مساعده «حوروس» الذي لم يعطهما حقهما وأنهما يخشيان بسبب ذلك الموت جوعاً.

هذا ونجد كذلك في وثائق سجلات «زينون» ما يثبت وقوع سوء تفاهم بين الموظفين المصريين أنفسهم، نذكر من ذلك بوجه خاص المشاحنات التي وقعت بين كل من «ستوتوتيس» Stototis و«فانسييس» Phanesis فقد اتهم الأخير الأول بالإهمال، وذلك لأنه شغل فضلاً عن وظائفه ووظائف زميله في مخازن غلال «فيلادلفيا»، والظاهر مع ذلك أن «أنوسييس» الذي في «فيلادلفيا» مع اثنين من الإغريق من وكلاء «زينون» وهما «كليتاركوس» Kleitarchos و«مارون» Maron قد نظروا إلى الأمر من وجهة أخرى، وذلك لأنهم طردوا مساعدي «فانسييس» واستخدموا من جديد مساعدي «ستوتوتيس»، وقد حدثت هذه الفضيحة في غياب «زينون» وهذا مما يجب الإشارة إليه، وإنه لمن السهل أن نفهم أن الأحقاد كان لا ينفجر بركانها بهذه السهولة تحت عيني «زينون» الساهرتين. وعندما نحلل المجتمع المصري كما يظهر أمامنا في سجلات «زينون» فإننا لا نجد فيه أي شعور بالوحدة القومية؛ وذلك لأن هذا المجتمع لم يكن فيه انسجام من الوجهة الاقتصادية؛ إذ قد مزقته الأحقاد والمشاحنات التي كان غالباً سببها أن هذا الحزب أو ذاك من المتخاصمين يلقي بنفسه في أحضان الإغريق أسياد البلاد، وهذا بالضبط ما كان يحدث في عهد الاحتلال البريطاني البغيض قبل قيام ثورة عام ١٩٥٢ ميلادية، ومن قبلها في عهد الحكم التركي.

^{٣١} راجع: P.C.Z. 59275.

^{٣٢} راجع: P.C.Z. 59291.

موقف المصريين من الإدارة الإغريقية

والآن يتساءل المرء: ما هو موقف المصريين إزاء الإدارة الإغريقية؟ ولحسن الحظ نجد أن سجلات زينون مليئة بالمعلومات عن هذا الموضوع، وهذه على أية حال نتيجة حتمية مما ينطوي عليه المضمون العام لهذه السجلات، فمما تجدر الإشارة إليه أولاً أن «أبولونيوس» كان يحتل في نظر المصريين مكانة فريدة تشبه مكانة الملك؛ فقد كان المصريون لا يعرفونه إلا بالاسم، ومن ثم لم يُكنَّوا له أية ضغينة، وإذا كان هناك ظلم يقع عليهم فإنه كان من جانب أتباعه الذين كانوا يظلمون الناس أو يقسون عليهم ولم يكونوا في الوقت نفسه أكفأ في عملهم، وعلى ذلك فإنهم إذا دعوا «أبولونيوس» فإنهم كانوا على يقين بأن كل ما حاق بهم من ظلم أو جور سيُقضى عليه إذا أمكنهم رؤيته شخصياً وبثُّ شكاوهم إليه.^١ والواقع أن «أبولونيوس» من ناحيته كان يجيبهم بكل رزانة وبشاشة على رسائلهم وكان يعتذر إليهم حتى من أن يفحص بنفسه شكاوهم كما نجد ذلك في وثيقة القاهرة،^٢ ففي هذه الوثيقة وهي رسالة من «أبولونيوس» إلى «زينون»، نجد أن «أبولونيوس» يقول إنه قد أرسل صورة من هذه الرسالة التي كتبها للفلاحين المصريين في «هفايستياس» Hephastias يأمرهم فيها بالحضور إلى «فيلادفيا» عند طلوع النهار وألا يتأخر «بتون» المحصل للثروة، ومع هذه النسخة رسالة جاء فيها أنه يخبر الفلاحين أنه مُثقل بالأعمال فلا يمكنه أن يسمع القضية بنفسه، ولكنه أرسل «بتون» بدلاً عنه إلخ.

^١ راجع: P. Lond. Inv. 2090 & 2094.

^٢ راجع: P.C.Z. 59203.

وعلى أية حال فإن العلاقات التي كان يرجو السكان أن تكون بينهم وبين «أبولونيوس» لم تكن إلا علاقات خيالية ولم تكن توجد إلا على البردي وحسب. ومن جهة أخرى نجد أن علاقات المصريين تجاه الموظفين الإغريق الذين في مرتبة أقل من مرتبة «أبولونيوس» كانت شيئاً آخر بالمرّة، فلا شك أننا نسمع دائماً عن وقوع مخالفات ومظالم، والواقع أن المصري كان حذرًا يسيء الظن وتملؤه الشكوك، ولم يكن ذلك دون أسباب فالتجديدات التي أدخلها الإغريق على حياة الفلاح الهادئة لم تكن بطبيعة الحال موجهة لغير صالحه، وذلك على الرغم من أنه قد فهمها في أغلب الأحيان بهذه الصورة، ومع ذلك فإنه مما لا شك فيه أن الموظفين الإغريق لم يكن لهم همٌّ إلا دخل الحكومة وفائدتهم الشخصية، ولم تكن أحوال معيشة المصري تهمه قط ما دام يدفع الأخير ما عليه من ضرائب ويؤدي كل ما عليه من التزامات أخرى، ومن ثم كان المصريون يشعرون أحياناً بأنهم محتقرون وفي أغلب المواقف مهمّلون، وليس لهم ثقة بهؤلاء الأجانب الذين أتوا من بلاد نائية ثم أخذوا يغيرون نظام حياة بلادهم العريقة في القدم مدخلين طرقاً جديدة في الزراعة، ولم يفكروا إلا في جمع الثروة لأنفسهم ويظهرون بأنهم أكثر منهم علمًا وأعز جاهًا،^٢ هذا ونجد في المتون الشهيرة المحفوظة بالمتحف البريطاني^٣ شكاوى فلاحين أتوا إلى «فيلادلفيا» من مقاطعة «هليوبوليس»، وهذه الشكاوى المرسلة إلى «زويلوس» Zoelos وإلى «أبولونيوس» كانت موجهة بصورة خاصة ضد حاكم المقاطعة «داميس»، وذلك لأن أحد وكلاء «أبولونيوس» لم يسمح لهم بالسكنى في المدينة، وفضلاً عن ذلك سجن «داميس» رجالهم وأجبرهم على أن يتخلوا عن الأرض التي كانوا قد وعدوا بها، على ما يظهر بمقتضى عقد سابق، وفي وثيقة بلندن^٤ نجد أن الفلاحين قد كتبوا للمرة الثالثة إلى «زويلوس» وقالوا إن داميس يهملنا ولا يعتبرنا ويمنعنا أن نشتغل في الخشب على هذه الأرض، وهو الخشب الذي يجب أن ننهي به العمل، والآن فإن هناك خطرًا في أن تبقى الأرض دون بذور، وقد ختموا شكايتهم بطلب مثلهم أمام «أبولونيوس» وذلك لأنهم كانوا يريدون أن يعرضوا عليه شيئاً مفيداً، وفي وثيقة أخرى^٥ نقرأ فيها نقدًا موجهاً

^٢ راجع عن موقف الفلاحين بالنسبة للإدارة الإغريقية: Rostov, L.E. P. 85.

^٤ راجع: P. Lond. Inv. 2094, 2090, 160.

^٥ راجع: P. Lond. 2094.

^٦ راجع: Inv. 2090. P. Lond.

من الفلاحين المصريين لإدارة ضيعة «أبولونيوس» فاستمع إليه: «إنه توجد عدة أخطاء في عشرة الآلاف أرورا (أي ضيعة أبولونيوس) وذلك لأنه لا يوجد رجل مجرب في الزراعة.» ومن ثم نلاحظ على ما يُظنُّ عدم ثقة الفلاح المحافظ في الإصلاحات الجديدة التي أدخلها الإغريق، ولكن إذا نسب الإنسان — وذلك بحق — هذا المتن إلى العهد الذي كان يدير فيه «باناكستر» الضيعة فإنه يتضح لنا أن «أبولونيوس» كان متفقاً في الرأي مع الفلاحين المصريين، وبوجه عام يشعر الإنسان أن المصريين لم يكونوا يثقون إلا قليلاً في علوم هؤلاء الأجانب وتجاربهم، وهذا ما لم يكن منتظراً تماماً إذا فكر الإنسان في أن «أبولونيوس» قد عمل عن قصد على إحضار إخصائين إغريق وبخاصة لحداثقه وكرومه، ولكن كل إغريقي كان يعتقد أنه بلا شك واحد من هؤلاء الإخصائين دون أن تكون عنده المواهب التي تؤهله لذلك، ومن المحتمل أن هذا هو المعنى الذي ورد في متن من متون زينون المحفوظة بالقاهرة^٧ حيث نقرأ:

وعندما وصل «ديونيسودوروس» وأراد أن يقطع الأشجار فإن «باسيس» Pasis بن «بايس» منعه من قطع الكرم (منعه عندما رأى أنه عديم الخبرة)، وقال له إنه أعطى أندرونيكوس لأجل ألا يقطع الكرم أربع درخمات، وكذلك لأجل ألا يأخذ الورد، وأعطاه أربع درخمات، ووعده بثماني درخمات عندما رأى أنه سيحدث تلقاً في الكرم وأنه ليس بصاحب خبرة.

ومع ذلك نجد في متن «لندن» أن الفلاحين لم يكتفوا بنقد الإدارة الإغريقية بل اتهموا كذلك حاكم المقاطعة «داميس» بسوء النية، وحتى على ما يظهر بالخيانة، يضاف إلى ذلك أن شكوى سكان بلدة «هفايستيايس» الذين كانوا يتظلمون من فرد يدعى «سوباتروس»، وهو أحد مرءوسي «داميس»، لا بد كانت من نوع مماثل؛ ففي متن في القاهرة^٨ نجد أن «أبولونيوس» بعد أن أوضح أنه ليس لديه الوقت لسماع شكواهم بعث إليهم أنه أرسل «بتون» القاضي إلى «فيلادفيا» وهو الذي كان عليه أن ينظر في شكواهم.

^٧ راجع: P.C.Z. 59736, 1.15 etc

^٨ راجع: P.C.Z. 59203 1.7 ff

وينطوي عدم ثقة المصريين بالإغريق كذلك على الخوف ممن هو أقوى منهم بأساً، وهذه الظاهرة كانت على الأرجح أبرز شيء في متن هام لدينا،^٩ وهو عبارة عن رسالة طويلة أرسلها «هرمياس» إلى «زينون» حارس قطيع ماعز ضيعة «أبولونيوس» (وهو عربي) وذلك أن «هرمياس» كان يشكو من «مترودوروس» Metrodoros الذي كان قد فقد أوامر «زينون» وكان عليه أن يحضرها له، ويضيف: وحتى اللحظة التي كان ينتظر وصولها، ولكن كان له المكانة الأولى وذلك لأنه كان هناك الخوف من أنه يحضر شيئاً معه أكثر خطراً ١١ ٢-٤، ولكن الموقف يتغير في الحال عندما ذهب عنه الخوف، وذلك عندما وصل وعلم أنه لم يحمل شيئاً، وقد هاجمنا الشعب وضربوا الرعاة ومنعواهم من الرعي في الأحرش، وتدل شواهد الأحوال على أن الهجوم اليائس الذي قام به السكان كان ذا أثر فعال وبخاصة إذا حلت الكلمات الأخيرة من رسالة «هرمياس»، والواقع أن المسألة هنا ليست مسألة عصيان مصريين وقيامهم على الإغريق بل الواقع كان المهاجمون دون شك كذلك مصريين أو أعراباً، لكن كراهية القوم كانت موجهة ضدهم لأنهم كانوا يمثلون في هذه الحالة مصالح عليّة القوم والأجانب الغزاة.

وفي وثيقة أخرى^{١٠} نفهم من مغزاها أن السكان المصريين عندما شعروا بأنهم نُهبوا على يد إدارة ضيعة «أبولونيوس» أظهروا شعورهم بالظلم بصورة «مُحَسَّة تماماً» وهناك رعاة آخرون قد اختاروا طريقاً أكثر مهادنة؛ فقد شكوا حالتهم إلى «زينون» من مرءوسه الذي لم يَرَعْ شروط عقودهم بأن أعطاهم مراعي رديئة غير التي في العقود. وقد جاوب الموظف المتهم «زينون» برسالة^{١١} جاء فيها أنه راعي مواد العقود وأن احتجاجات الرعاة خاطئة بل على العكس أعطاهم أكثر مما يستحقون، وليس في مقدورنا الآن أن نستخلص الحقيقة ونعرف من الذي على حق، ومع ذلك فإنه إذا كان عدم ثقة الرعاة لم تكن في موضعها في هذه الحالة الخاصة، فإنها كانت دون أي شك صحيحة في حالات أخرى عدة، وبوجه عام يُلحَظ أن المصريين كانوا دائماً على حذر متنبهين إلى الميول الجديدة للإدارة الإغريقية التي كانت على أية حال عالمة بما تنطوي عليه نوايا الأهليين في مثل

^٩ راجع: P.SI 380.

^{١٠} راجع: PSI 380.

^{١١} راجع: P.C.Z. 59362.

هذا الموقف، هذا ونقرأ في وثيقة أخرى^{١٢} أن «زينون» طلب إلى «سوستراتوس» أن يرسل رجلاً ليختار له رجالاً من أهل حرفته، وكذلك يرسل إليه «ضاربي طوب»، ولكن لفت نظره أن يكون حذرًا، وذلك لأن أصحاب المهن المعنيين يمكن أن يُؤلوا الأديار إذا عرفوا مقاصده، والمحتمل أن «زينون» كان ينتظر مقاومة من جانب هؤلاء الصناع، وذلك لأنه أضاف في نهاية خطابه أن يرسل كذلك أعرابياً «شرطياً»، والظاهر أن الموضوع المقصود كان سخرة، هذا ويجدر بنا أن نؤكد هنا كذلك مرة أخرى وجود الجو المليء بعدم الثقة والحذر اللذين يميزان موقف السكان المصريين تجاه الإدارة الإغريقية، وهذا يقرؤه المرء بين السطور بوضوح في المتن الذي نحن بصده.

وعلى أية حال فإن هذا الجو القاتم المليء بالمخاوف يسود معظم الوثائق التي من هذا الصنف في سجلات «زينون»؛ فنجد مثلاً أن «ميوس» Meieus،^{١٣} قد أرسل خطاباً إلى زينون يطلب إليه أن تُنظر قضيته مع «ستاخيس» Stachys في البلدة التي يسكن فيها، وقد أخبره «زينون» أنها تُنظر في البلد الذي يسكن فيها الأخير، والظاهر أنها كانت الفيوم، وقد عارضه «ميوس» في ذلك وطلب أنه يجب أن تُنظر في بلدة يكون فيها الفريقان غربيين عنها مثل «منفيس» أو أهناسيا المدينة، وذلك لأجل أن يحاكم بمثابة غريب عنها مثلنا وقد أضاف أن «باسيس» عندما سمع أن القضية المرفوعة عليه من ستاخيس ستُنظر في الفيوم احتمى خوفاً في مذبح الملك (المعبد).

هذا ولدينا وثيقة أخرى هامة (PSI. 422) نقرأ فيها أن مُزارعاً يدعى «بزنتائس» Psentaes بث شكواه إلى زينون من «كركيون» الذي لم يعطه أولاً إلا أربعة أزواج من الثيران لحرث الأرض في حين أن «أونوفريس» قد ورد ثمانية أزواج إلى «بزنوفاستيس» (ولا يفوتنا أن ننتبه هنا إلى أن «كركيون» و«أونوفريس» هما وكيلان زراعيان لزينون)، وعندما أُلح «بزنتائس» أعطاه «كركيون» زوجاً خامساً، ثم زوجاً سادساً، ولكنه انتخب له أهزل الحيوانات، ومع ذلك فإن أرض «بزنتائس» كان من الصعب حرثها، ولكن كان يمكن بذرها كلها؛ لأنها كانت مغرقة بالمياه تماماً، ومن المحتمل أنه ليس من باب الصدفة أن يكون الوكيل المتهم بالإهمال أو حتى سوء النية من قبل المزارع المصري كان يحمل

^{١٢} راجع: P.C.Z. 59230.

^{١٣} راجع: P.C.Z. 59466.

الاسم الإغريقي «كركيون»، وبخاصة إذا لاحظ الإنسان أن الذي كان يقرن نفسه به في شكوى «بزنتائس» كان مصرياً.^{١٤}

وموضوع حراس خنازير «فيلادلفيا» يستحق التفاتاً خاصاً هنا، وقد أشرنا إليه فيما سبق عندما ناقشنا نظامهم ومكانتهم الاقتصادية، والشخص الذي نال أشد السخط من بين حراس الخنازير هو على ما يظهر «هيراكليديس» مديرهم، وقد رأينا من قبل أنه لا بد كان من دم مختلط، إغريقي مصري، وذلك لأنه كان له أخ يُدعى «با أبيس» Paapis، وربما كان ذلك من الأسباب التي دعت لحقد مرءوسيه المصريين عليه، وقد كتب في ٣٠ يونيو ٢٤٨ ق.م «بمناس» وهو مربي خنازير معروف تماماً،^{١٥} إلى «زينون» أن «هراكليديس» قد تفاهم مع «توتيس» على حساب مربي خنازير آخرين، وأنه يحفظ كل العقود عنده ولم يسمح له بمراجعة الحساب، وفي رسالة أخرى بنفس التاريخ واليوم^{١٦} نقرأ أن «بمناس» Pemenas يوبّخ «هراكليديس» بسبب أنه لم يطلع على الحسابات، ومن المحتمل أنه اتهمه أكثر مما ينبغي، ومن جهة أخرى نجد أن «توتيس» Thoteus لما اتهم بالاشتراك في الجريمة مع «هراكليديس» كتب كتاباً «لزينون» مؤرخاً ١١ يونيو سنة ٢٤٨، ومتن هذا الخطاب (P.C.Z. 59830) وُجد ممزقاً جداً، ولكن نفهم مما بقي أن «توتيس» قد هوجم من رعاة خنازير آخرين، وقد وُجد اسم «هراكليديس» مذكوراً بينهم، وأخيراً نجد في متن آخر^{١٧} مذكرة مرسلة إلى «زينون» كالعادة، وفي هذا المتن نراه يشكو فيه من أنه قد اضطهده رعاة الخنازير فيقول: «إني مضطهد من حراس الخنازير هناك». ويُلاحظ أن بداية المذكرة يحيطها بعض الغموض والظاهر أنها مُنصبة على «توتيس» شريكه المزعوم في الجريمة.

أما عن الاعتراف الذي أعطيته عن خنازير توتيس، فإنك تحسن لو أرسلت معي شخصاً لأجل أن أعطيه إياه قبل أن يبيعه.

ومن القصص الشيقة قصة «بائيس» وإن كان يحيطها بعض الغموض، وقد سماه «بتوزريس» المزارع الممرض على العصيان،^{١٨} والمتن عبارة عن مسودة مذكرة كتبها

^{١٤} راجع: PSI. 603, P.C.Z. 59270; P. Col. Zen. 44

^{١٥} راجع: P.C.Z. 59330

^{١٦} راجع: P.C.Z. 59331

^{١٧} راجع: P.C.Z. 59439

^{١٨} راجع: P.C.Z. 59499

«بتوزيرس» إلى «زينون»، والظاهر أن «بائيس» كان يسكن على أرض من أملاك الملك، وذلك على الرغم من أنه كان لزاماً عليه أن يبني لنفسه بيتاً، وقد أقرضه «زينون» المال لبناء البيت ولكن «بائيس» باع البيت كما باع معه قطعة أرض من أرض الملك أيضاً، وقد جاء ذكر هذه القصة مرة أخرى في نفس البردية السابقة؛ أي في مسودة الرسالة التي بعث بها «بتوزيرس» إلى «كليون» غير أن المتن هنا غامض المعنى.

وأحياناً نجد كذلك شكاوى من إغريق ضد المصريين، بعضها يقدم لنا صوراً رائعة عن حياة الريف المصري التي يصحبها هذا الجو المليء بالحذر والبغضاء المتبادلين اللذين لا بد كانا سائدين وقتئذ، فمن ذلك^{١٩} أن «كريتون» شكأ إلى «زينون» ضارب الطوب الذي كان عليه أن يشتغل عنده مدة عشرين يوماً، ولكنه حتى نهاية المدة لم يقم بضرب طوبة واحدة، ومع ذلك فإن هذا ليس كل ما حدث فاستمع لكلماته: وعندما كنت نائماً في الحقل أثناء الليل طارد خنزيرة حاملاً من فناء البيت كانت تضع حملها ثم نادى على زوجي وأخبرها أنه سيقتلها ثم نادى عليّ كذلك ظناً منه أنني كنت موجوداً في البيت، وعندما عدت من الحقل أخبرتني زوجي بكل ما حدث ولكني لم أبلغ أحداً بالحادثة منتظراً إلى أن ينتهي الوقت المحدد للعمل الذي يقوم به، وفي الوقت نفسه أبقى كريتون الخنزير خارج الردهة، وبعد ذلك شكأ إلى زينون مستحلفاً إياه باسم الإلهين الأخوين والملك أن يفصل في موضوعه وألا يجعله يهان مرة أخرى، وقد أقسم باسم روح الملك و«برنيكي» أنه لم يتسلم منه حتى طوبة واحدة، وعلى أية حال إذا لم تكن هذه القصة واضحة كل الوضوح فإنها تظهر مع ذلك غريبة؛^{٢٠} حيث نجد إغريقياً يهاجمه مصري.

ولا نزاع في أن عدم رضا الأهلين وعدم ثقتهم بالأجانب سيئول فيما بعد إلى الاضطرابات والثورات،^{٢١} ولكن لا نجد في سجلات «زينون» إلا اضطرابات عابرة سببها عدم الصبر والمشاحنات.

وعلى أية حال فإنه عندما كانت الحال تشتد بالمصري فإنه لم يكن يفكر بعد في القيام بمقاومة شديدة بل كان كل ما في استطاعته هو اللجوء إلى الهرب.^{٢٢} ولدينا أمثلة على ذلك

^{١٩} راجع: P.C.Z. 59462.

^{٢٠} راجع: PSI. 542.

^{٢١} راجع: W. Peremans, Revue Belge de la Philologie et d'Histoire XII. P. 1022; Preaux.

Chron. D'Egypt. XI. P. 522.

^{٢٢} راجع: Preaux E.R. P. 500 ff.; Rostov. H.W. P. 1548.

من سجلات زينون، والواقع أن الهرب لم يكن فقط من جانب المصريين بل كان يتعداهم إلى غيرهم، وقد كان في الحقيقة آخر وسيلة لكل رجل سواء أكان مصرياً أم عربياً أم إغريقياً؛ لأن القومية هنا لم تلعب دوراً أصيلاً عندما تشدد وطأة الإدارة عليه، وعندما يتخلى عنه أصدقاؤه أو يخونونه، وعندما كان يهدده خطر داهم من أي صنف، ففي بردية^{٢٢} نقرأ أن راعي خنازير لطبيب يُدعى «أرتميدوروس» قد هرب لعدم استطاعته الوفاء بما عليه من مسئوليات، والواقع أنه وجد عددًا من الخنازير قد اختفى من قطيعه، ومن ثم نجد أن «أرتميدوروس» يرجو «زينون» أن يأمر بالبحث عن الهارب حتى لا تضيع علينا كل الخنازير، وفي وثيقة أخرى^{٢٤} نقرأ أن «باتايكيون» أحد وكلاء «زينون» كتب له أنه علم أن بعض رعاة الماعز قد هربوا وأن أحدهم وهو «ليمنايوس» Limnaios قد هرب فعلاً، وأن «ديمثريون» قد عزم على الهرب، وهذان الراعيان من العرب،^{٢٥} وكذلك نقرأ في وثيقة محفوظة بلندن^{٢٦} أن راعيَّين آخرين وهما «أسكليبيادس» Asklepiades و«أبولونيوس» كانا يهددان بالهرب إن هما لم يتسلما مرتبهم، وفي وثيقة بالقاهرة^{٢٧} نجد الحديث فيها عن هرب فرد يُدعى «أتفيس» Atpheus، وذلك تخلصاً من دفع ضريبة أو غرامة خاصة بقطعة أرض مزروعة خُصراً، وفي رسالة كتبها «نكتوزيريس» Nektosiris صانع حبال السفن إلى «زينون» يطلب إليه فيها أن يكتب لكل من «هرمولوس» Hermolaos و«بتوزيرس» كاتب الملك في «أطفيح» لإحضار شريكه لأنهما مدينان له بأجر عمل، وذلك لأنهما على إثر رحيل «زينون» هرباً، وتدل شواهد الأحوال على أنهما كانا قد أُجبرا على هذا العمل، هذا ونجد مرة في متون القاهرة^{٢٨} أن الحديث كان عن مصري قد هرب تفادياً من انخراطه في سلك صفوف الجنود الوطنيين، وذلك أن مصرياً يُدعى «باريس» كان قد اختير لتأدية الخدمة العسكرية، وكان الذي اختاره هو «أكزابيس» Axapis الكاتب الملكي لمقاطعة «البهنسا»، ولكنه هرب من الجندية، وقد طلب إلى «زينون» أن يكتب في هذا الصدد لإعادة الجندي الهارب.

^{٢٢} راجع: P.C.Z. 59310.

^{٢٤} راجع: S. B. 7984.

^{٢٥} راجع: P.C.Z. 59340.

^{٢٦} راجع: P. Lond. Inv. 2095 176.

^{٢٧} راجع: P.C.Z. 59329.

^{٢٨} راجع: P.C.Z. 5990 177.

وفي بردية أخرى^{٢٩} نقرأ أن خادمة Pedishi قد طلبت مساعدة «زينون» وذلك لأنها لم يعد عندها القوة على العمل، ومع ذلك لم تُرد الهرب كما يفعل الآخرون، هذا ونجد في خطاب غاية في الأهمية، ولكنه بكل أسف ممزق^{٣٠} أن «أيولاس» وهو نسّاج يشكو إلى «زينون» من أمة تعمل في النسيج تدعى «بيا» كانت تعربد مع كل الناس^{٣١} وقد عزمتم على الهرب عند «زينون» ولكن «زنودوروس» حجزها حتى لا يتعطل العمل.

ومن أسباب الهرب كذلك العلاقات السيئة مع الزملاء أو انعدام التضامن فيما بينهم، فمن ذلك قضية «نختميس» Nechtembis صانع السجاجيد،^{٣٢} وذلك أن «بايس» ناسج السجاد كان قد أرسل فعلاً شكوى ضد زميله في العمل المسمى «نختميس»، وهو الآن يضع أمامه بعض البراهين الدالة على احتياله وغشه، فيقول إن السجادة التي وُزنت البارحة قد عُمتت في الماء لتصبح أثقل وزناً من وزنها الحقيقي، وقد عرف أنها أقل من الوزن الحقيقي، يضاف إلى ذلك أنه انتقص من طول السجاجيد وعرضها حتى أصبحت لا تصلح لفرش الأرائك بسبب قصرها، وعند وزنها وُضعت بعض مواد إضافية في كفة الميزان، ومن أجل كل ذلك فإنه يستحق على ذلك قطع يديه، وفضلاً عن ذلك فإنه أُلّف أخلاق النساجين الآخرين، وإذا سمح زينون بعمل تجربة فإن «بايس» كان مستعداً أن يعمل بنفس المادة ست عشرة سجادة بدلاً من الأربع عشرة التي نسجوها، وعندما سمع «نختميس» بهذا الاتهام حاول الهرب، ولكن «بايس» قبض عليه وأرسله إلى السجن، وقد كشف «لزينون» عن هذه الحقائق حتى لا يغش ثانية.

وفي حالة أخرى نجد أن الهرب كان سببه نظر قضية في أحوال غير ملائمة، وذلك أن «بايس»^{٣٣} قد احتّمى في مذبح الملك عندما سمع أن قضية خصامه مع «ستاخيس» ستُنظر في محكمة مدينة الفيوم، وقد أشرنا إلى ذلك من قبل.

ومع ذلك فإن أهم حوادث الهرب ليست هي التي يكون فيها الهارب شخصاً أو شخصين بل عندما يكون الهرب جماعياً، والأسباب التي تدعو إلى ذلك مماثلة للتي

^{٢٩} راجع: PSI. 667.

^{٣٠} راجع: P.C.Z. 59080.

^{٣١} راجع: P. Mich. Z. 16 & 19.

^{٣٢} راجع: P.C.Z. 59484.

^{٣٣} راجع: P.C.Z. 59466.

ذكرناها فيما سبق، وهي طلبات الإدارة الزائدة عن حد المعتاد، أو التأخر في دفع المرتبات إلخ، وفي معظم الحالات يكون الهرب محاولة يائسة فيهرب المظلوم إلى أي مكان، وقد يكون غرضه البحث في مكان آخر عن عيشة أفضل، ولا نزاع في أن هرب العمال كان يشل حركة العمل، ومن ثم نجد أن الهرب كان يعتبر تهديداً مستمراً للإدارة الإغريقية؛ مثال ذلك أن «زينون»^{٣٤} كان يخاف أن يهرب ضاربو الطوب إن هم فهموا أن المقصود هو إجبارهم على العمل، وكانت الطبقة الدنيا تعلم تماماً أن الهرب يمكن أن يكون سلاحاً في أيديهم لمحاربة الإدارة، وكانوا يستعملونه كسلاح مشهور؛ مثال ذلك ما قام به حراس الجسور من مناورة؛ فقد هددوا «زينون» بالهرب إذا لم يتسلموا مرتباتهم وجراياتهم من القمح،^{٣٥} ولكن نعرف كذلك حالات كان ينقلب فيها الهرب إلى مقاومة سلبية، ويكون المقصود منها معروفاً وهو الحصول على امتيازات من الإدارة الإغريقية، وأشهر وثيقة يجب اقتباسها هنا هي (PSI. 502)، وقد تناول الكثيرون فحصها.^{٣٦} وعلى ذلك لن نتحدث عنها هنا طويلاً، بل سنظهر هنا بعض نقاطها الأساسية وهي؛ أولاً: أن الفلاحين كانوا لا يريدون أن يقبلوا شروط الإيجار التي عرضها عليهم «باناكستر» وكيل «أبولونيوس». ثانياً: أنهم حبسوا أنفسهم في معبد وهددوا بترك حقولهم. ثالثاً: نجد أن «باناكستر» بعد أن استنفد كل ما في جعبته من طرق لإقناعهم اضطر في نهاية الأمر أن يقبل شروطهم. وهاك ما جاء في المتن: «عندما عدنا إلى فيلادلفيا بعد ثلاثة أيام قررنا — بما أنه لم يُسمح بعمل التقدير كما هو موجود في المذكرة، وكذلك بما أننا لم نجن أي تقدم في مفاوضاتنا — بأن نطلب إليهم أن يعطونا تقديراتهم كما يرى كل واحد أنه في صالحه». وفي متن آخر مماثل للسابق^{٣٧} نقرأ أن «كوللويس» كتب إلى «زينون» يخبره أن الفلاحين الذين يزرعون أرض الجنود المرتزقة قد هربوا واحتموا في معبد «أزيون منف»، وعلى ذلك كتب لحاكم المقاطعة المسمى «مايماخوس» Maimachos الذي كان عليه أن يضطر الفلاحين إلى مغادرة المعبد، ويلوح أن سبب هذا الهرب هو إعطاء الأرض للجنود المرتزقين وأن الفلاحين لم يكونوا مرتاحين من تغير أحوالهم هذه في عملهم، ولكن مما يؤسف له أن هذا الموضوع لم يصل إلينا حله.

^{٣٤} راجع: P.C.Z. 59230.

^{٣٥} راجع: PSI. 421.

^{٣٦} راجع بصفة خاصة: Restov, L.E. P. 78; C. Preaux, E.R. P. 442, etc.

^{٣٧} راجع: P.C.Z. 59245.

وقد وجدنا فيما سبق أن كل حالات الهرب الجماعية كان العامل فيها هم أفراد الطبقة الدنيا؛ إذ كانوا يؤلفون كتلة مُترابطة متضامنة، وهذا التضامن وهو كما يلوح لنا من الوثائق أبرز ظاهرة في الهرب الذي من هذا الطراز، فنجد في أحوال المقاومة التي كان لها هدف مُبَيَّن كما نشاهد ذلك في الوثيقة (PSI. 502) ولكن نجده كذلك حتى في الهرب الأعمى الذي كان يقوم به أصحاب الحرف المضطهدون،^{٣٨} وليس بدهش كذلك أن يكون هذا الهرب الذي يقوم به الفلاحون هو الذي يتخذ في أغلب الأحيان صورة المقاومة المدبرة العارفة بقصدها، وفيه نجد أن التضامن قد أصبح من أقوى ما يكون، ومن المستطاع أن يتطرق الإنسان إلى القول بأن هذا التضامن كان أساسه نظاماً قديماً يرجع في أصوله على ما يُظنُّ إلى العهود الفرعونية، وأمثلة الهرب كثيرة في مصر القديمة في عهد الإمبراطورية، وهذا التضامن يظهر لنا بدرجة واضحة في صورة أخرى غير الهرب؛ ففي موضوع حاكم المقاطعة «داميس» الذي استعرضناه فيما سبق، وما حدث له مع فلاح «هليوبوليس» وكذلك قضية «سوباتروس» مع سكان قرية «هفاياستياس» Hephastias نجد أن رجال الطبقة الدنيا كانوا متضامنين سويّاً على الإدارة الإغريقية.

ويتضح هذا التضامن هنا بصورة أعنف، وذلك لأنه يظهر أن كل قرية كانت تهاجم رعاة الماعز التعساء أتباع أبولونيوس كما أشرنا إلى ذلك من قبل، هذا وقد اتخذت قرية بأكملها كذلك^{٣٩} لأجل أن تحمي مواطناً من أهلها قد أتهم بسرقة بقرات.

ومع ذلك نجد من جهة أخرى في سجلات «زينون» حالات قد حل فيها فرد عقدة هذا التضامن، وذلك بإعلان عدم كفاية زملائه للإدارة الإغريقية، ثم حاول بعد ذلك أن يخدمهم لأجل أن ينال الحظوة ويتقرب من رئيسه الإغريقي، وإنه لمن المهم جداً أن نلاحظ هنا أمراً يستحق الإبانة فيه وهو أننا لا نقصد قط أن نتحدث عن فلاحين مزارعين من المصريين قد أقدموا على حل عقدة ما كان بينهم من تضامن بل إن أولئك الذين كانوا يرتكبون مثل هذا الجرم هم أصحاب الحرف والصناعات، فمن بين هؤلاء ضاربو الطوب وقاطعو الأحجار، وفي حالة واحدة نَفَرَ من النحاتين، ولكن المتون الأكثر تمييزاً في هذا الصدد قد كتبها لنا صناع فخار وصانع سجاد، وفي بعض حالات يكون سبب عدم التضامن خاصاً بموظف أو رئيس لم يكن قد عمل إلا ما يفرضه عليه واجبه نحو رئيسه الإغريقي، وفي

^{٣٨} راجع: PSI. 498 P.C.Z. 59230.

^{٣٩} راجع: P. Mich. Z, 98.

حالات أخرى نجد أن المُبلِّغ الخائن لإخوانه يكون قد اضطرتته لذلك الإدارة الإغريقية؛ مثال ذلك الخطاب الذي أرسله «زينون» إلى «سوستراتوس» وفيه يسأل «زينون» صديقه وشريكه «سوستراتوس» أن يرسل إليه أحد بنائيه ليختار له ضاربي الطوب والبنائين الآخرين معه ولكنه يطلب إليه أن يُحذِر هذا البناءً بالألّا يكشف عن مهمته أمامهم مخافة أن يفروا جميعاً، وتدل شواهد الأحوال على أن هؤلاء المحترفين كانوا يخشون أن يؤدوا هذه الأعمال بصفة سُخرة ويكون مثلهم في ذلك كمثل غيرهم الذين شكوا من أنهم قد اضطُروا إلى ضرب طوب في حين أن ضاربي الطوب الحقيقيين لم يكلفوا بذلك،^{٤٠} ومع ذلك نقرأ في وثيقة أخرى ما يترك في نفوسنا تأثيراً آخر،^{٤١} وذلك أن مدير حانوت جعة قد حُبس بأمر من «زينون» لأنه قد اتهم بصورة خطيرة «أمنوس» تاجر الجعة، والظاهر أن التهمة كانت ذات صبغة سياسية أكثر منها مادية، وذلك لأن «أبولونيوس» قد أضاف في آخر رسالته أن أمنوس سيُشنق إذا كان قد قال حقاً ما اتهمه به المدير.

ويلوح أن هذا الرجل لم يتهم زميله دون سبب، ومن المحتمل أنه كان يأمل بهذه الخدعة أن ينال حظوة «أبولونيوس»، وكذلك اتهم النحّال «فاراتيس» أمام «زينون» من زميله لسبب خلاف بينهما،^{٤٢} فقد كتب شكوى إلى «زينون» محتجاً فيها بأنه بريء، ويتضرع إلى «زينون» أن يرد إليه حريته، وذلك بقوله: «إن بيني وبينه خصومة، وقد سبقني باتهامه لي أمامك.» يضاف إلى ذلك أننا نصادف في وثيقة أخرى^{٤٣} قاطع أحجار يخون زملاءه فقد قيد لحسابه العمل الذي أنجزه غيره بل قبل أن يُسجن زميل له بسبب دسائسه هو، ولدينا وثيقة أخرى لها نفس الصبغة،^{٤٤} ولكن نقرأ فيها شكوى الطرف المهاجم، وذلك أن «نكتوزيريس» Nektosiris صانع الحبال شكّا إلى «زينون» من شركائه الذين هربوا وهم مدينون له بأجور عمل، ونقرأ كذلك في وثيقة (P.C.Z. 59451) أن طاعمين للقطط المقدسة في خدمة معبد «بوسطة» في قرية «سوفتيس» ذكر أن الملك وكذلك «أبولونيوس» قد أمرا أن يُعفى الأفراد الذين من مهنتهم من الأعمال الإجبارية

^{٤٠} راجع: USI. 440.

^{٤١} راجع: P.C.Z. 59202.

^{٤٢} راجع: P.C.Z. 59520.

^{٤٣} راجع: P.C.Z. 59499. 11. 26-43.

^{٤٤} راجع: P.C.Z. 59472.

في كل البلاد ولكن «ليونتسكوس» Leontiskos رئيس الشرطة قد أرسلهما للعمل في الحصاد، وقد فعلاً ما أمراً به لأنهما لم يرغباً في مضايقة «زينون» وقد أرسلهما ثانية ليضربا طوباً في حين أنه ترك ضاربي الطوب المحترفين دون تكليفهم بذلك لحاجة في نفسه، وهذا المتن كذلك لم نعثر فيه على أي أثر للتضامن القومي بين المصريين.

والظاهر أنه في حالات عدة تنتصر المصلحة الشخصية على الشعور بالتضامن، وتغري الأفراد إلى اتهام زملائهم وإلى تهالكهم على إرضاء الإدارة الإغريقية، ومن جهة أخرى نجد أن الإدارة كانت تشجع الواشين بمنحهم أحياناً مكافآت مالية على خدماتهم،^{٤٥} والواقع أننا نقرأ في وثيقة بمتحف القاهرة في هذا الصدد (P.C.Z. 59484) مذكرة غاية في الأهمية قدمها بايس Pais صانع السجاد إلى «زينون» وقد اتهم فيها «بايس» زميله «نختميس» بالخيانة والغش وأنه يستحق قطع يديه، وذلك أنه لم يقتصر على عمل سجاجيد قصيرة جداً وخفيفة، ولكنه فضلاً عن ذلك يفسد أخلاق رفاقه الآخرين، وعندما علم «نختميس» أنه أراد أن يوشي به إلى زينون حاول الهرب ولكن بايس قبض عليه وسجن، ونهاية هذه المذكرة غريبة في بابها: لقد أخبرتك بهذه الأشياء لأجل ألا يضرك إنسان ولأجل أن أحصل على الحظوة عندك.

وفي وثيقة أخرى بالقاهرة^{٤٦} نقرأ أن «بائيسيس» صانع الفخار قد وشى إلى «زينون» أمر إهمال زملائه الذين يعملون في تزفيت جدران أواني الفخار، ولأجل أن يظهر إسرافهم اقترح أن يوكل إليه هو هذا العمل كله، وإلى ثلاثة آخرين من صناع الفخار يسمى أحدهم «ليزيماكس»، وبعد ذلك شكاً من بعض زملائه بأنهم يحملون له ضغناً، ويقولون إنه يكتب دائماً ضددهم إلى «زينون»، وهنا نجد المتن شيقاً، وهاك ما جاء فيه: «يجب عليك أن تعرف أنني أعتاب بين صناع الفخار، وذلك لأنهم يقولون إنني أكتب إليك دائماً أشياء سيئة عنهم، وهذا لا يهمني قط، ذلك لأنني أجتهد دائماً أن أعرف بعض أشياء مفيدة». ولكنه لم يُعَرِّهم التفاتةً وصمم على أن يبلغ كل شيء ينبغي أن يعرفه «زينون»، وقد وردَ أخيراً إلى «أنوسيس» Anosis ألفي غطاء جرة في حين أن صناع الفخار الآخرين لم يوردوا شيئاً، ومن أجل ذلك فإنهم ينظرون إليه بعين الحسد، ومن ثم نرى أنه لم تكن هذه المرة هي الأولى التي أساء فيها «بايس» إلى زملائه وأنه صمم على أن يكيل لهم بنفس الكيل

^{٤٥} راجع: P.C.Z. 59489.

^{٤٦} راجع: P.C.Z. 59481.

في المستقبل، ولدينا متن آخر كتبه صانع فخار يشكو فيه من زملائه.^{٤٧} وكذلك نلاحظ في الموضوع رعاة الخنازير الذين سبق ذكرهم أنه لا يوجد تضامن بينهم، وذلك عندما نرى أن «توتيس» قد أصبح شريكاً في الجريمة مع هراكليس للإضرار بزملائه المصريين مثله. ولأجل أن نلخص مسألة التضامن في المجتمع المصري كما تظهر لنا في سجلات زينون، لا بد أن نضع سؤالاً: كيف يجب علينا أن نتناول هذه الوشائيات والاتهامات؟ والجواب على ذلك نجد بعضه في المقال الذي كتبه المؤرخ «برمانز» عن «بطليموس الثاني» «فيلادلف» والسكان المصريين،^{٤٨} وذلك لأنه لم يناقشها إلا من وجهة نظر الإدارة الإغريقية، والواقع أنه من الممكن بل من المحتمل أن «نختميس» صانع السجاد قد خان روءساءه وأن زملاء «بايس» كانوا مهملين في أعمالهم، ولكن يجب ألا يغيب عن بالنا الموقف الحرج الذي كان يحتله الصانع المصري الذي كان مضطراً أن يغيث الإدارة التي كانت تتبالح في طلباتها، وذلك لأجل أن يكسب عيشه، فهل يمكننا أن نفرض أن «نختميس» لم يكن يفكر إلا في أن يسرق؟ أما الجزء الثاني من الاتهام — وهو الذي يتحدث عن إفساده لأخلاق زملائه — فيظهر أن المقصود منه هو فائدته الشخصية، وكذلك يفهم أن «بايس» لم يعامله بوصفه لصاً منحطاً وذلك لأنه يسميه محرصاً على الثورة أو العصيان، وعلى ذلك فإن الدور الذي لعبه الواشي لم يكن دور رجل شريف غضب للحق، ووصف زملاءه بعدم الاستقامة، وهذا هو التأثير الذي يمكن أن يستخلصه الناقد من قراءة رسالته، وبذلك نجده قد فك عرى التضامن مع قومه وطبقته وانحاز إلى الأجانب أسياده سواء كان ذلك قد حدث منه بقصد أو جاء عفو الخاطر وأنه لمن المهم أن نلاحظ ما قد أشرنا إليه فيما سبق وهو أننا لم نصادف مثل هذه الحالة بين طبقة الفلاحين المصريين، وذلك لأن شعورهم بالتضامن الذي كان على أية حال مؤسساً على نظام قديم كان غاية في القوة، ولا نزاع في أنه في مصانع الحرف حيث كان يسود — كما ذكرنا من قبل — جو التسابق والحسد، نجد أن تفكير الإنسان في التضامن كان يقل عن تفكيره في الربح العاجل وفي اكتساب حظوة أصحاب السلطان والجاه من الإغريق.

^{٤٧} راجع: PSI. 420.

^{٤٨} راجع: Revue Belge de Philologie et Histoire XII. P. 1005 ff.

نظرة المصريين للإغريق

لقد تحدثنا حتى الآن عن وضع المصريين بالنسبة للإدارة الإغريقية، ومع ذلك فإنه لما يستحق الاعتبار هنا أن نتساءل كذلك عن العلاقات الشخصية التي كانت توجد بين المصري والإغريقي في الحياة الحرة، وهل سجلات زينون تسعفنا بالجواب على ذلك؟ والواقع أن الجواب على هذا السؤال الأخير يحتمل الإثبات والنفي في آن واحد، وذلك أن كمية من الرسائل والشكاوى التي وُجّهت إلى «زينون» في هذه السجلات تهيئ لنا أن نكون رأيًا عن وضع المصريين بالنسبة «لزينون» نفسه، وهذا هو كل ما لدينا من المعلومات في هذا الصدد تقريبًا وحتى فيما يتعلق «بزينون» نفسه، فإنه يمكن أن يكون لدينا شكوك، وتفسير ذلك أنه حتى يومنا هذا لم نصل إلى حالة تُمكننا من أن نحدد بصورة دقيقة موضع زينون الرسمي، وعلى ذلك فإنه من الصعب أن نعرف ما يجب أن ينسب إلى مركزه الحكومي، ومع ذلك فإن الفرد الإغريقي الذي كان يمكن للمصري أن يتصل به كان دائمًا على وجه التقريب موظفًا، وعلى أية حال كان رئيسه، وفي أعين المصريين كان يجب أن يمتزج الرجل في معظم الأحيان بمركزه الرسمي.

ومن وجهة النظر هذه تهيئ لنا الرسائل التي كانت توجّه إلى زينون أن نكون فكرة صحيحة لا بأس بها عن وضع المصري بالنسبة للإغريقي الذي ينتمي إلى طبقة أعلى، ففي كل الرسائل الموجهة إلى «زينون» نقرأ أن المصريين كانوا يرجونه أن يأخذ بناصرتهم، ويمنع عنهم الظلم الذي يتنون تحت عبئه، وأن يمد لهم يد المساعدة وأن يكشف عنهم ضرهم، والواقع أنه كان الرجل صاحب السلطان في نظرهم وهو العماد الكلي لهم وفي مقدوره

أن يذلل كل صعاب، وكان ينتظر منه العدالة المنصفة،^١ ومع ذلك يتساءل الإنسان هل كانت هذه الحالة عنده دائماً تنطوي على الإخلاص؟ وننتقل الآن إلى استعراض أبرز هذه الشكاوى وأكثرها ميزة في هذا الصدد لنرى مقدار إخلاصه في معاملة المصريين الفقراء. فمن ذلك التصرع المؤثر الذي وجهته امرأة عجوز إلى «زينون»،^٢ وذلك أنها عندما هجرتها ابنتها التي تعولها كتبت إلى «زينون» تقول: إني أسألك أن تأتي لمساعدتي رحمة بشيخوختي وأن ترد إليّ ابنتي، وكتبت إليه امرأة أخرى وهي أرملة رجل يُدعى «سنخنسو» ترجوه في أن يرد إليها أتانها التي كان قد اغتصبها «نيكياس» Nikias،^٣ فتقول سأرسل إليك مولودها، وإني أرجوك وأتوسل إليك ألا تهمل مسألتني فإني امرأة أرملة، وكتب إليه كذلك راعياً خنازير وهما «بتنوريس» و«سامويس» شكوى وكانا سجينين بسبب جرم ارتكبا،^٤ والطريف أنهما لم ينكرا جريمتهما ولكنهما يلجأن إلى رحمته وعطفه في أن يطلق سراحهما خوفاً من أن تهلك قُطْعَانُهُما لعدم العناية بها، وهما نفسيهما يموتان جوعاً لعدم وجود ما يسد رمقهما، وفي ذلك يقولان: أرجوك أن تأخذك الشفقة بنا، فقد عوقبنا بسبب خطئنا، وليس هناك فرد بغير خطيئة، وعلى ذلك ينبغي لك أن تفحص موضوعنا؛ إذا رأيت حسناً أن تحررنا؛ لأنه ليس لنا سيد غيرك، ومن ثم فإننا نكتب إليك نطلب الرحمة.

هذا ويظهر «زينون» في عدد كبير من سجلاته بأنه هو المحامي الوحيد للمظلومين، ولكن يجب أن نلاحظ هنا أن هذه الحالة الخاصة بالطبقة الدنيا من السكان كانت عامة وليست قاصرة على المصريين الأصليين وحسب، وذلك لأنه لدينا متون مشابهة حررها إغريق في هذا الصدد،^٥ هذا ولدينا رسالة من فرد يُدعى «بمناسيوس» Pemenasios يشكو فيها من أن بواب «زينون» لم يسمح له برؤيته ليشكو إليه أمره، والظاهر أن كل هؤلاء التعمساء كانوا يعتقدون أنهم سيصلون إلى أغراضهم إن هم أمكنهم التحدث مع «زينون» شخصياً، وقد كان هذا الزعم هو رأي «أوللاس» Iollas^٦ الذي أراد أن يهرب

^١ راجع: Chronique d'Egypte XIX. P. 288.

^٢ راجع: P. Lond. Inv. 2660.

^٣ راجع: P. Mich. Z. 29.

^٤ راجع: P.C.Z. 59495.

^٥ راجع: P.C.Z. 59421; P. Mich. Z. 107.

^٦ راجع: P.C.Z. 59080.

إلى جوار «زينون» وكذلك كان هذا هو رأي العبد^٧ الذي لم يُرد أن يترك عمله كغيره من زملائه ولكنه طلب حكم العدالة في أمره من «زينون»، فيقول: بما أنني أعلم من أخلاقك أنك عدو السوء فإنني لذلك لم آتِه.

هذا ونجد أحياناً أن هذه الحماية التي كان يمنحها «زينون» لبعض المصريين كانت توضح بصورة بيّنة ويقول في ذلك «روستوفتزن»^٨، وهناك صورة أخرى للحماية وهي الحماية التي كان يعطيها موظفون من مرتبة عليا أو من مرتبة صغرى لرجال كانوا يعملون لهم أو كانوا مرتبطين بهم بصورة أخرى، هذا ونجد في بعض الحالات مثل حالة «باتيميس» Patymis الذي جاء ذكره في وثيقة أخرى (P. Rylands 569 208) ما يشعر الإنسان أن «زينون» كان يحمي المصريين لمصلحته الشخصية، فقد كرر «باتيميس» بقوة حمايته له فيقول مخاطباً له: لقد حميتنا منذ البداية وكذلك الآن، وليس هناك أحد آخر سيحمينا، وليس لدي ثقة إلا فيك لحمايتنا.

والظاهر أن مستخدمي «زينون» كانوا هم الذين يفيدون في معظم الأحيان من حمايته أكثر من غيرهم، وأبرز متن في هذا الصدد،^٩ وهو يحدثنا عن أعرابي كتب إلى «زينون» رسالة طويلة شيقة يطلب فيها مساعدته، وذلك أنه لما كان عليه أن يبقى في سوريا مع «كروتوس» Krotos فقد قضت الأحوال أن يقوم بخدمة الجمال، غير أن الأخير لم يُعطِه مرتبه، وقد انتظر بعض الوقت حتى يعود «زينون»، ولكن الجوع في نهاية الأمر قد اضطره إلى الهرب في داخل البلاد، وهنا يضيف في خطابه إلى زينون بقوله: «إني أكتب إليك لتعلم أن «كروتوس» هو «المنذب». وبعد ذلك أرسله زينون إلى «فيلادلفيا» حيث كان يعمل تحت أوامر «ياسون» Jason، ولكنه عومل هناك معاملة سيئة كأنه متوحش، وعلى ذلك تضرع إلى زينون أن يأتي لمساعدته، وعندما يقرأ المرء هذه الرسالة يشعر إلى أي حد من التبعية الشديدة كان يعيش كاتبها، وفيها يقول يجب عليك أن تعرف أنك قد تركتني في سوريا مع كرونوس ولم أرتكب خطأ في حقك، وعندما أمرت أن أُعطى المرتب الذي أمرت إعطائه فإنه لم يعطني شيئاً، وعندما رجوته كثيراً أن يعطيني ما أمرت به فإن كرونوس لم يعطيني شيئاً، ولكنه أعطاني الأمر بالانصراف، وقد صبرت بعض

^٧ راجع: P.SI. 667.

^٨ راجع: Rostov, H.W. 1396.

^٩ راجع: P. Col. Z. 66.

الوقت في انتظارك ... وقد كتبت إليك لأجل أن تعرف أن «كروتوس» هو المذنب، وعندما أرسلتني إلى فيلادلفيا عند «ياسون» وعندما فعلت كل شيء أمرتني به إني أرجوك وإنك على ذلك ستعمل عملاً حسناً إذا اهتمت بي، وإني أتوسل لكل الآلهة وكل أرواح الملوك أن تكون في صحة جيدة، وأن تأتي بسرعة عندنا لأجل أن ترى أنت بنفسك بأنه لا غبار عليّ، وهذه الرسالة تبتدئ بصيغة الصحة والسلامة مما لا نجد في معظم الرسائل التي وُجّهت إلى «زينون» من تابعيه، يضاف إلى ذلك أن تكرار ضمير المخاطب بقوة وبكثرة كان كذلك غريباً في هذه الرسالة، هذا ونجد أن موقف «كليسيس» Kelusis الذي يلوم كلاً من «سوستراتوس» و«زينون» بأنهما سافرا دون أن يُعلما ما الذي قاله «أمونيوس» عنه، كان مماثلاً لما جاء في الرسالة السابقة.^{١٠}

ولدينا رسالة «لزينون» من «باؤزيس» الذي كان تحت حمايته، وتستحق أن تُفحص فحفاً خاصاً؛ فهي تكشف لنا عن أحد مواقف «زينون» بالنسبة للمصريين، وذلك أننا نفهم منها أن «زينون» كان أحياناً يمنح حمايته إلى بعض أسر مستخدميه «أبولونيوس»، وخلاصة القصة أن «باؤزيس» Paosis كان قد وضعه ابنه «حوروس البحار» تحت حماية «زينون» وهو أحد بحارة «أبولونيوس»، وقد شكّا من أن «هراكليدس» رئيس ضيعة «فيلادلفيا» قد سجنه لأجل أن يبتز منه مائة درخمة غير أن «باؤزيس» لم يكن يملك إلا حماراً وبعض أغنام قد تركها له ابنه «حوروس» لتكون تحت رعايته، ومن أجل ذلك يرجو «زينون» أن يُسرحه من السجن حتى يكون في مقدوره الاتصال «بحوروس» الذي سيضع شكواه أمام «أبولونيوس».

وقد كتب باؤزير لزينون يقول:

إلى زينون، السلام عليك من «باؤزيس» والد «حوروس» بحار «أبولونيوس»، وهو الذي أخذ يدي وأعطاه إياك وقال لك: إذا ارتكب مع أحد ذنباً قلّه إليّ.

هذا ونقرأ في بردية أخرى قصة عكس ذلك فاستمع إليها،^{١١} وذلك أن والد «سيخوس» في هذه الوثيقة هو الذي وكل أمر ابنه «بطليموس» إلى زينون: السلام عليك من «باؤزيس» والد «حوروس» بحار «أبولونيوس» Hermaphilis وإلى بيثون Pythton

^{١٠} راجع: P.SI. 410.

^{١١} راجع: P.C.Z. 59342.

صاحب المصرف وإلى غيرهما كذلك بخصوص ضرورة تعيين ابنه في وظيفة كاتب، وقد أرسل «سيخوس» ابنه شخصياً ليرى «زينون» ويرجوه في أن يكتب في الحال أمراً بتعيينه في وظيفة بمرتبة حسن.

والواقع أن خطاب التوصية السالف الذكر يعد من الرسائل النادرة التي كتبها مصري في هذا الصدد، هذا وفي سجلات «زينون» رسائل كثيرة من هذا النوع كتبها إغريق لا مصريون.^{١٢}

هذا ولدينا بعض رسائل موجهة إلى «زينون» من مصريين عليها مسحة الألفة، وذلك على الرغم من أن القارئ يحس أن كاتبها يوجهونها إلى مدير إدارة «أبولونيوس» القوي بوصفه صديقاً لهم يحتل وظيفة عالية ويشغل مكانة تمكنه من مساعدتهم، وهذا هو التأثير الذي تركته رسالته «فانتزيس» Phaneisis كيال الحبوب،^{١٣} فقد كتب إلى «زينون» أنه سجين في الإسكندرية بأمر من «ديونيسودوروس» Dyonysodoros والظاهر مع ذلك أنه لم يكن يفكر في هم الغد، وهو يرجو في رسالته «زينون» في أن يرسل إليه فقط خادماً؛ لأنه ليس لديه بجواره أحد في المدينة، وكذلك طلب إليه أن يرسل إليه عباءة وما تيسر من النقود، هذا ولدينا رسالة أخرى^{١٤} تذكرنا كذلك بالرسائل التي كُتبت إلى «زينون» من أصدقائه الإغريق، وقد سأله في هذه الرسالة «حارمايس» Harmais أن يتدخل في صالحه أمام «أبولونيوس» وقد أرفق بخطابه صورة من الشكوى التي قدمها.^{١٥} ويجب أن نفحص على حدة موقف الكهنة المصريين تجاه «زينون»، وذلك على الرغم من أن الوثائق لم تحدثنا في سجلات «زينون» إلا عن الكهنة الذي يشغلون وظائف صغيرة، والواقع أنه في كل المتون المحفوظة لدينا يظهر فيها «زينون» بأنه الحامي والمحسن لرجال الكهنة، فلدينا مثلاً متن^{١٦} خاص بمصالح «كولونيس» كاهن الآلهة «توريس» (ربة الولادة) في فيلادلفيا، وفي متن آخر (PSI. 531)، نقرأ أن أن كهنة «عشتارت» صاحبة «منف» يلجئون إلى كرمه وسخائه، كما نجد كاهن «إزيس»^{١٧} يطلب مساعدته وحمايته من تعدي موظف،

^{١٢} راجع: W. Keyes American Journal of Philology LVI. P. 28 ff.

^{١٣} راجع: P.C.Z. 59519.

^{١٤} راجع: PSI. 488.

^{١٥} راجع الرسالة التي كتبها «باناكستر» إلى «زينون» PSI. 502.

^{١٦} راجع: P.C.Z. 59308.

^{١٧} راجع: PSI. 539.

وفي أحد متون القاهرة^{١٨} نقرأ أن مُرَبِّي القطط في «بوسطه» يتضرعان إليه أن يخلصها من سخرة فُرضت عليهما بغياً وظلماً، هذا وقد رأينا من قبل أنه منح حمايته إلى كاهن صغير Isionomos.^{١٩} وذلك على الرغم أنه كان يعمل ذلك على ما يحتمل لوجه الله، وقد كان كذلك على علاقة مع كاهن أكبر ولكن المتن المختصر الذي جاء فيه ذلك^{٢٠} لا يسمح لنا أن نتنبأ بما يقصد منه.^{٢١}

والخلاصة: يظهر أنه لأجل أن يميز الإنسان وضع المصريين بالنسبة للإغريق يجب أن نبرز النقاط التالية؛ أولاً: تبعية المصريين الاقتصادية التي ينتج منها عدم ثقة المصريين وعداوتهم للإغريق (وذلك على الرغم من أننا نجد مصريين من الطبقة الراقية من هُم على وداد ومصافاة مع الإغريق، وأنه في طبقة أقل من السابقة نجد أن بعض أصحاب الصناعات ينقضون تضامن طبقتهم جرياً وراء نيل حظوة الإغريق (أصحاب السلطان). ثانياً: ومن جهة أخرى اعتقاد المصريين أنه يجب عليهم أن يبحثوا عن التآزر والحماية إذا ما أرادوهما في كل مشكلات الحياة عند الإغريق أصحاب السلطان، والظاهر أن الشعور الوطني لم يكن له دور يقوم به في هذه الحالة إلا دوراً ثانوياً لا يكاد يُذكر.

والآن نجد أنه قد حان الوقت للإجابة على السؤال التالي: ما هو وضع الإغريق بالنسبة للسكان المصريين (كما نفهمه في وثائق سجلات زينون)؟ والواقع أن هذه المسألة كانت موضع نقاش كبير، ولكن لندع أولاً الوثائق نتكلم في هذا الصدد، والواقع أنه حتى لو كان موقف الإغريق غالباً كما سنرى فيما يلي معادياً أو بالأحرى موقف ازدراء، فإنه لدينا مع ذلك أوراق بردية إغريقية نعلم منها أن الإغريق كانوا يتدخلون لأجل صالح المصريين، فرسائل التواصي التي كتبها زملاء زينون الإغريق له تعتبر غاية في الأهمية من هذه الوجهة؛ ففي وثيقة^{٢٢} كتب «أمينتاس» أحد موظفي «أبولونيوس» وزميل «زينون» إلى الأخير يريجه أن يصفح عن فرد Kiolourgos قد التجأ إليه طالباً الحماية، والمتن شيق إذ يقول: إن «كولورجوس» قد وصل عندنا وهو يطلب الحصول على صفحك عنه،

^{١٨} راجع: P.C.Z. 59492.

^{١٩} راجع: P.C.Z. 59451.

^{٢٠} راجع: P. Ryland 569.

^{٢١} راجع: PSI. 641.

^{٢٢} راجع: P. Athen. I.

وألا يُعتبر مذنبًا، وعلى ذلك تكون قد أتيت عملاً طيباً إذا أطلقت سراحه إذا كان لم يأتِ ذنباً عظيماً، وإنه بعد أن يكون كما يجب في المستقبل وقد وبَّخناه هو نفسه بأنه متسكع ولا يقوم بعمل، وهو يطلب أن يُطلق سراحه في «منف» وأن يُسمح له بالعمل، وإذا لم يعطِ «أبولونيوس» أوامر مضادة فإنك تعمل حسناً إذا سرحته، ومع ذلك فإن اسم الراجي لم يُذكر، كما لم يعرف أحد معنى الكلمة الدالة على وظيفته، والناشر للمتن وهو «بتروبولوس» Petropoulos يظن أنه صانع من صناعات الفخار أو عامل يشتغل في بناء السفن، فإذا كان الأمر كذلك فإنه يمكن أن نفرض أنه كان مصرياً، ورسالة «أمينتاس» لطيفة جداً، ومنها نفهم أن الإغريقي قد سلك فيها مسلكاً محايداً؛ إذ نقرأ بين السطور بسمة حلوة تدل على السماحة: «أه من هذا الشيطان المسكين في استطاعتك أن تسامحه!» ولكن هذه الرسالة تعد كذلك شيئاً استثنائياً.

ولدينا رسالات توصية أخرى بعث بها إلى «زينون» لصالح مصريين، ولكن في بعضها يرى الإنسان بجلاء أن الموضوع لا يتناول قط أغراضاً إنسانية وأن الإغريقي الذي يتدخل فيها لم يكن لمصلحة المصري بل لمصلحته هو وحسب؛ ففي متن^{٢٣} نجد أن «كاسانديروس» Kassandros وهو أحد جنود «أبولونيوس» يرجو «زينون» أن يخلص رجلاً قد أُرسِل من مقاطعة «منف» إلى «فيلادلفيا» للحصاد، وذلك لأن هذا الرجل كان ضرورياً له،^{٢٤} وفي متن آخر^{٢٥} طلب إلى «زينون» أن يفحص موضوع «بزيناتس» Psinates، بن باجاتس Pagates وأن يتكلم في ذلك لموظفين آخرين، وفي بردية^{٢٦} لم يبقَ لنا منها إلا بداية رسالة كتبها إلى «زينون» فرد يُدعى «ديوكليس» يتشفع فيها لدى «زينون» لصالح «باريس» الذي هرب من مقاطعة «البهنسا»^{٢٧}. هذا ونجد في ورقة أخرى وهي^{٢٨} جزء من المسودة التي فيها جواب «زينون» على الرسالة السابقة جاء فيها أن «ديوكليس» أحد رجال الجيش المستعمرين في «أرسنوي» وهو صديقي وبهمه كثيراً أمرُ مصريٍّ اسمه باريس،

^{٢٣} راجع: P.C.Z. 59301.

^{٢٤} راجع: Preaux Chron. Eg. X. P. 112 f.

^{٢٥} راجع: P.C.Z. 59303.

^{٢٦} راجع: P.C.Z. 59303.

^{٢٧} راجع: P.C.Z. 59590.

^{٢٨} راجع: P. Mich. Z. 82.

وعلى أية حال ليس لدينا أية فكرة يمكن أن تكون لجندي مرتزق إغريقي يطلب فيها حماية حارس هارب، ومع ذلك فإن المتن ممزق ولا يقدم لنا معلومات كافية في هذا الصدد.

هذا ونلاحظ في كثير من مجريات الأحوال مع ذلك الاحتقار والعداوة اللذين يظهرهما الإغريق نحو السكان الأصليين أو بعبارة أدق نحو ممثلي الطبقة الدنيا من المجتمع المصري؛ ففي أوراق «ريلندز»^{٢٩} نقرأ أن أن فردًا يُدعى «باتايكيون» Pataikion كتب إلى «زينون» في موضوع شرطي يُدعى «سوكيس» Sokeus وكان قد أفسده، أنه قد سافر إلى «أبولونيوس» ليعرض عليه ظلامته، ومن ثم رجا «باتايكيون» «زينون» أن يقيم العقبات في وجه المصري، ثم يضيف في خطابه أنه قد كتب كذلك لمترجم «أبولونيوس» لأجل أن يلعب معه دورًا خسيسًا إذا أمكنه.

فيقول له: إنك تفعل حسنًا إذا وجدت فرصة وأمكنك أن تلتفت إلى موضوع هذا الرجل حتى لا تكون سخرية في أفواه الآخرين، وقد كتب كذلك إلى مترجم «أبولونيوس» في هذا الصدد بأن يعمل على الإضرار به إذا أمكنه، ويمكننا أن نؤكد مع ناشر هذا المتن أن المترجم لا بد كان لديه الإمكانيات لمضايقة المصري الذي كان يريد أن يتكلم إلى الوزير صاحب القوة دون أن يعرف لغته، ومن الأشياء الشيقة كذلك أن نلاحظ هنا أن «باتايكيون» كان يعتبر طريقته عادية تمامًا، وأنه كان متأكدًا أن زينون سيبحثها أيضًا. ومع ذلك لا يمكننا أن نعد هذا المتن بمثابة مظهر عداوة قومية، وذلك لأنه ليس لدينا متن آخر مشابه لموضوعه خاص بإغريقي، هذا ونقرأ في متن آخر أن «أمينتاس» يرجو «زينون» أن يطلب إلى «أبولونيوس» أن يُعير أذنًا صاغية إلى شكوى النجار «كالياناكس» Kallianax الذي ذهب إلى الوزير يطلب حمايته، والظاهر إذن أنه في هذا المتن كما في غيره لا بد أن نبحث عن منبع العداوة التي نلمحها هنا لا في اختلاف القومية بل في ركن خاص بالموقف المادي والاجتماعي.

والواقع أنه لم يكن عند الإغريق بوجه عام ثقة في العمال المصريين الذين يشتغلون لحسابهم، وهذا الشعور يظهر جليًا في رسالة كتبها لزينون فرد يُدعى «سبونداتس» عن موضوع خشب الجميز الذي كان ضروريًا لبناء مركب، وقد طلب أن يرسل إليه

^{٢٩} راجع P. Ryland. 563

«تيوبومب» Theopompe الإغريقي ليقوم بشراء هذه الصفقة^{٣٠} حتى يقضي بذلك على اعتذارات العمال (الذين يبنون السفن) لأنهم كسالى ويبحثون عن معاذير، هذا ولدينا رسالة تستحق الالتفات،^{٣١} وقد تحدثنا عنها فيما سبق عندما كنا نفحص مسألة الحماية التي منحها «زينون» للأهلين، ولكن لا بد أن نبرز نقاطاً أخرى في هذا المتن الشيق، وذلك لأنه هو الوحيد في سجلات «زينون» الذي نجد فيه أن كاتبه يشكو من سوء معاملته لأنه ليس هيلاني المنبت، فيقول إنه لم يُدفع له مرتبه ولم يُعطَ نبيذاً بدلاً من النبيذ الحلو كما يُعطى الإغريق قائلًا: «حتى لا أموت من الجوع، وذلك لأنني لا أتكلم الإغريقية.» أو بعبارة أخرى: لأنني لست مثل الإغريق، ويقول «ولكنهم يحتقرونني لأنني لست إغريقياً.» وقد طلب بعد ذلك إلى «زينون» أن يأتي لغوثه وأن يصدر الأمر بإعطائه مرتبه، وكاتب هذه الرسالة عربي الأصل، ومما يستحق الإشارة إليه هنا أنه المتن الوحيد في سجلات زينون الذي نسمع فيه كلاماً صريحاً عن التمييز العنصري، ولم يكن كاتبه مصرياً، وهذا أمر يلفت النظر وله أهميته، على أن وجود هذا المتن لا يسمح لنا أن نستنبط أن السكان غير الإغريق في مصر كانوا يشعرون بأنهم صنف مُنحطٌ عن الإغريق، وحتى الإغريق الذين من الطبقة الدنيا في مصر نجد أنهم كانوا يشعرون دون شك أنهم أكثر قرباً من المصريين إلى أسياد البلاد، وذلك لأنهم كانوا يشتركون مع هؤلاء الأسياد في اللغة والتقاليد وقد كانوا فخورين بذلك.

هذا ونعلم من أوراق البردي كذلك أن الإغريق كانوا يخافون أحياناً بأس المصريين الأصليين.

حقاً لم يكن زمن الثورات على الحكم البطلمي قد أتى بعد، ومع ذلك يظهر أن الأجانب لم يكونوا يشعرون دائماً بالأمان في الريف المصري، هذا وقد كتب «كريتياس» إلى «زينون» (PSI. 345) يقول: إن محصول الكروم يبتدئ، ويطلب إليه إرسال عشرة حراس على الأقل وبترحيل الموجودين عنده حتى لا يحدث ما لا تُحمد عقباه، ولدينا جزء من رسالة عن طريق إغريق قد أرسلوا لحراسة الكروم وقد طلبوا مدداً أو أن يُعَفَّوا من وظيفتهم، فقد قال لهم أحد الناس إنه من خطر الرأي استخدام شبان مصريين.^{٣٢} ونفهم

^{٣٠} راجع: P.C.Z. 59270, 1, 8, etc.

^{٣١} راجع: P. Col. Z. 66.

^{٣٢} راجع: P.C.Z. 59361.

من السطر السادس والعشرين وما بعده من وثيقة بالقااهرة^{٣٣} أنه في العلاقات مع الإدارة نجد أن الإغريق كانوا أحياناً حذرين من الموظفين المصريين؛ مثال ذلك «دمترويس» الذي أراد أن يتحاشى وقوع خلاف مع الكاتب الذي بيده حساب المؤسسة لأنه كان في مقدور الأخير أن يضايقه، هذا ونعرف كثيراً من الخلافات التي وقعت بين المصريين والإغريق، ومع ذلك فإن هذه الخلافات لم تكن مميزة، وذلك لأننا نعرف الكثير منها، ومن المحتمل أنها كانت تقع أكثر بين الإغريق وبين المصريين، وأهم هذه الخلافات مسألة «أجاتون» و«بتوباتيس» حيث أراد أجاتون بأية طريقة أن يتسلم من «زينون» أرضاً مؤجرة إلى «بتوباتيس».^{٣٤}

وكانت الإدارة الإغريقية لا تفكر من حيث العلاقات الرسمية أو العلاقات غير الرسمية إلا في الفوائد التي يمكن أن تنتزعها من عمل السكان المواطنين، وقد كان موقفها معروفاً جيداً، وقد ظهر ذلك بالمثل في سجلات «زينون»؛^{٣٥} فقد كانت الإدارة لا تكثر بأمر موظف مصري أو عربي أو إغريقي فقير، ولكن المهم لدينا هو دخل الحكومة ومصصلحة الحكام الشخصية، حتى ولو حصلت على ذلك بطرق غير شريفة أو بارتكاب مخالفات، ومع ذلك لا بد أن نلاحظ هنا أنه في غالب الأحوال لم نسمع بمخالفات في وثائق سجلات «زينون»، والمحمّل أن ذلك لم يكن من باب الصدفة؛ إذ المفهوم على ما يظهر أنه خلال حكم «فيلادلف» كان الموظفون لا يزالون في قبضة الحكومة، ونقول هنا في خلال مدة حكم «فيلادلف» لأنه لم يكن إلا في هذا العهد قد احتل زينون وظيفة رسمية، وبذلك كان في مقدوره أن يتسلم الشكاوى خاصة بمخالفات الموظفين.

والظاهر مع ذلك أنه في هذا العهد كانت تقوم في وجه الإدارة الإغريقية عقبات للحصول من السكان المصريين على ما كانت تفرضه عليهم؛ فقد كانت أحياناً تلجأ إلى الوعود والتفسيرات مثل الحالة التي سبق ذكرها عن الخلاف الذي حدث بين سكان «هيفايستياس» ومع وكيل حاكم المقاطعة «داميس».^{٣٦}

وغالبا ما كان ينبغي على الإدارة أن تمنح امتيازات بعضها ينبع من السياسة الملكية ويفكر الإنسان بوجه خاص في هذه الحالات التي تعترف فيها الإدارة أنه من الطبيعي

^{٣٣} راجع: P.C.Z. 59610.

^{٣٤} راجع: C. Viereck, Philadelphia. P. 44.

^{٣٥} راجع: P.C.Z. 59130, 59209, 59275, 59310, 59329, 59496, etc.

^{٣٦} راجع: P.C.Z. 59203.

أنها لا يمكنها أن تشغل العمال في أيام أعياد البلاد،^{٣٧} أما الامتيازات الأخرى فإنها كانت تُغتصب منها وبخاصة عندما يكون الأمر متعلقاً بجعل الفلاحين يعودون إلى الحقول التي هجروها ونحن نرى جيداً أن الموظفين كانوا يرتبكون أمام خطر هرب الفلاحين وترك أعمال الإغريق، وكان السكرتير المالي «زويلوس» يفضل عدم التدخل في المشاكل التي يلاقيها «باناكستر»،^{٣٨} وعلى الرغم من أن «كولوتس» الذي جاء ذكره في بردية بالقاهرة^{٣٩} قد أراد أن يحضر حاكم المقاطعة «مايماخوس» أملاً في أنه سيكون في استطاعته أن يجعل الفلاحين يتركون المعبد الذي احتَمَوْا فيه، فإن الموقف أمام حاكم المقاطعة لم يكن على ما يظهر من السهل حله، ومع ذلك فإنه لمن المهم أن نلاحظ أن «كولوتيس» Kollouthes المصري كان يعتقد أنه كان من السهل على موظف إغريقي أكثر منه ليُجعل المصريين يخضعون ويعودون إلى عملهم، والواقع أن الهرب كان سلاحاً قوياً في أيدي المصريين، حقاً ليس لدينا إلا المتون المتعلقة بالتهديد بالهرب الخاص بضاربي الطوب،^{٤٠} ولكن يظن الإنسان أن هذا التهديد هو الذي كان ينتزع من الإدارة الإغريقية الجزء الأعظم من وعودها وتفسيراتها، وحتى الامتيازات التي كانت تمنحها نتيجة لذلك.

ومن ثم نرى أن الهيلانيين في حين كانوا يلعبون أحياناً بكل سرور دور الحامي الكريم فإنهم كانوا بوجه عام لا يفعلون ذلك إلا لأن أهل البلاد كانوا في نظرهم قوة عاملة لا غنى عنها، وأنه يجب استغلالهم بقدر المستطاع بكل الطرق، ولا نزاع في أنهم في معظم الأحيان كانوا يحقرونهم ولكنهم كانوا كذلك يخافونهم مع شعورهم بالكراهية لهم، ومع ذلك فإنهم كانوا لا يحقرون إلا القومية والعنصرية، وذلك لأن الإغريق كانوا يتمتعون بعلاقات ودية مع المصريين من طبقة خاصة، وكل ما في الأمر أنه كان احتقار الأغنياء والأقوياء للضعفاء والمعوزين، حقاً إنهم كانوا فخورين بأنهم إغريق ولكن تمسكهم بوطنيتهم لم يكن أمراً ثانوياً، وذلك لأن كون الفرد إغريقياً كان يعني بوجه خاص عندهم المال والسلطان.

^{٣٧} راجع: P.C.Z. 59815, PSI. 374, Cf. Rostov. H.W. P. 290 f.

^{٣٨} راجع: PSI. 502.

^{٣٩} راجع: P.C.Z. 59245.

^{٤٠} راجع: P.C.Z. 59230 230.

والآن يتساءل الإنسان ما هي السياسة الرسمية للإدارة البطلمية تجاه السكان المصريين؟

الواقع أن هذه المسألة قد نوقشت مرات عدة.^{٤١}

ويعيب هذا المصدر الأخير على البطلمة أنهم لم يهتموا بما فيه الكفاية برعاياهم المصريين،^{٤٢} ولا بد أن نضع النقاط على الحروف فيما يخص العامل الاقتصادي في سياسة البطلمة في القرن الثالث ق.م. وأن نقلل من واقع الحال أهمية العامل القومي؛^{٤٣} حيث يقول: إن الهم الرئيسي لهؤلاء الملوك هو أن يحصلوا أقصى ما يمكن الحصول عليه من دخل البلاد في ميدان الاقتصاد، ولكن انظر نفس المصدر ص ٢٨٧ حيث يقول: إن الفصل بين الأجانب والمصريين كان يظهر مباشرة في بعض المتون، والواقع أنه في بعض الوثائق نشاهد الشعور القومي لا يلعب أي دور، ولكن في بعض متون نادرة جدًا نجد على حسب بعضها ما يدل على عداة قومي، اللهم إلا إذا كان الموضوع متعلقًا بمعارضة بين الفاتحين والمقهورين أو بين السيد والمُسود.^{٤٤}

وفي هذا المصدر عن الاهتمام الأبوي بالبلاد، راجع كذلك.^{٤٥}

حيث يقول إن كلاً من بطليموس الأول وبطليموس الثاني قد فهم بوضوح أنه كان من المستحيل أن يؤسس ملكه على طبقة السكان الأصليين إلا بوصفهم كتلة بشرية كانت تكبح بالقوة الجبرية، وعلى حسب نظام خاص، وكانوا على حق كما ظهر من المحاولات التي قام بها أخلافهما في هذا الاتجاه، وذلك أن السكان المصريين لم ينسوا قط أن الإغريق وأسرة البطلمة لم يكونوا إلا أجانب ودخلاء على بلادهم،^{٤٦} ويتحدث هذا المصدر عن العلاقات الاقتصادية؛ أي علاقة الطبقات^{٤٧} ببعضها البعض.

^{٤١} راجع: P. Jouguet, I. C. P. 271 ff.; W. L. Westermann Agricultural History. Vol. I. P. 34 .ff.; W. W. Tarn J. E. A. XIV. P. 246 ff

^{٤٢} راجع: .C. Preaux, Chronique d'Egypte XI. P. 117 Peremans Chron. D'Eg. XI. P. 156 ff

^{٤٣} راجع: Peremans V. E. P. 272

^{٤٤} راجع: W. L. Westermann, The American Hist. Rev. XLIII. P. 285

^{٤٥} راجع: Rostov, H.W. P. 132

^{٤٦} راجع: .A. B. Ranovie, Ellignim i jego istoriceskaya rol. P. 183

^{٤٧} راجع: .S. Davis, Race-Relations in Ancient Egypt

كما يتحدث عن الإغريقي والمصري والعبري والروماني في مصر، وعلى حسب الرأي السائد في الأدب الحديث نجد أن الفائدة الاقتصادية قد لعبت هنا دورًا حاسمًا، وكذلك في الحياة الخاصة، ومن تحليل سجلات «زينون» في استطاعتنا أن نلاحظ أن طرق الإدارة البطلمية وحتى التي من أول وهلة نرى أنها ناتجة عن سياسة قومية تظهر أثناء تحليل أكثر عمقًا أنها قد أملت بوساطة مصالح اقتصادية، وهذا على الأقل هو التأثير الذي جاء نتيجة دراسة هذه الوثائق التي نرى فيها أحيانًا حب الأفراد وبغضهم، ولكن حيث لا يمكننا أن نتحسس توجيهها قوميًا في سياسة الإدارة الإغريقية نحو السكان الأصليين.

ومن المحتمل أن الوقت قد حان الآن لنتساءل إذا كان في مقدور الإنسان أن يعمم ملاحظتنا التي عملت في الواقع من مادة غنية ولكنها محددة من حيث الزمان والمكان، فهل حياة الفيوم التي تعتبر إقليمًا جديدًا لا يوجد فيها سمات لا توجد قط في أي إقليم مصري؛ حيث نجد أن السكان الأصليين قد استوطنوها منذ أجيال مضت وحيث كان الإغريق فقط هم الوافدين الجدد، وتدل الشواهد مع ذلك أنه إذا أراد الإنسان أن يؤكد أن صورة المجتمع المصري التي رسمت في سجلات «زينون» ليست صحيحة إلا بالنسبة لمنتصف القرن الثالث ق.م فإنه في الإمكان من جهة أخرى أن نفرض أنه لم يكن هناك فروق رئيسية بين هذا المجتمع وبين الذي كان يعيش في الأقاليم الأخرى في مصر، وذلك على الرغم من أن نشاط «بطليموس الثاني» الاستعماري قد ظهر فيه بوضوح، ففي مكان آخر ربما كانت الحياة أكثر سلامًا وأقل حمية، كما كانت نسبة الإغريق المثوية فيه أقل أيضًا، ولكن يظهر أن هذه الفروق كانت صحيحة من حيث الكمية لا من حيث النوع.

ولدينا سؤال آخر وهو: هل هذه الصورة التي رسمناها هنا للمجتمع المصري في مصر في القرن الثالث ق.م تعد كاملة في نظر المؤرخ؟ والواقع أن الحالة المادية للبلاد واعتمادها على الإغريق وكذلك العداوة والبغضاء اللتان كانتا تمزقان هذا المجتمع في الداخل، وترميان أحيانًا المصريين في أحضان الأجانب أسياد البلاد كانت تجعلناهم يوشون بزملاتهم وطبقتهم، ومن جهة أخرى نجد أن وحدة الأسرة وتضامن الشعب وبخاصة طبقة الفلاحين قد جعل المصريين يحاربون الإدارة الإغريقية بكل ما لديهم من قوة، وهذا التضامن القومي كان يتمثل بوضوح في غالب الأحيان في المقاومة السلبية التي كانت تتجلى في أفراد الشعب عن تدبير وروية، وأخيرًا يتساءل المرء هل أخذ في الاعتبار كل أوجه الحياة الاجتماعية عند المصريين بالنسبة للعلاقات بين أهل البلاد وبين الفاتحين الإغريق؟

والجواب على ذلك بالنفي قطعاً، ولكن الصبغة العامة لمصادر هذا البحث وهو سجلات «زينون» مضافاً إليها حقيقة أن كل المصادر المستقاة من أوراق البردي ليست إلا قطعاً من كل غائب عنا، وقد فُرض علينا ألا نتعدى هذه الحدود التي يستحيل علينا الآن أن نتعدها.